

بائع الناي
المغامرين الأذكياء
١٢
دار النفائس



المغامرون الأذكياء

بائعُ النّايْ

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب: ١١/٦٣٤٧ - هاتف: ٨١٠١٩٤ - برقيا: دانفايسكو

عازف الناي

كان عاماً دراسياً حافلاً بالعمل . وكانت الامتحانات فيه مرهقة أشد الإرهاق . ولكن أعضاء فرقة المغامرين حققوا في النهاية ما عودونا تحقيقه في كل عام : نجاحاً باهراً ، ودرجات عالية تشهد بما يتمتعون به من ذكاء رائع . وكان لا بد بعد هذا التعب والجد المتواصلين من يوم راحة يقضونه في أحضان الطبيعة يستعيدون فيه نشاطهم ويجددون حيويتهم .

ولكي يكون الاستمتاع كاملاً قرروا أن تكون نزهتهم في مكان بعيد عن صخب المدينة وضجيجها ، وأن تتوفر في هذا المكان الشروط الطبيعية التي تلائم كلاً من فينو وسرور وفصيح . وبعد استعراض المنازه المحيطة بالمدينة استقر الرأي على قضاء يومهم في الغابة الخضراء ، وهي غابة لا تكاد تبعد عن المدينة بأكثر من عشرة كيلومترات ، ويؤمها المتنزهون إما بالسيارات أو بالدراجات العادية أو النارية .

حملت سيارة أجرة أعضاء الفرقة من منزل المفتش جميل في الساعة السابعة صباحاً . وبعد ثلث ساعة أنزلتهم في قلب الغابة الخضراء غير بعيد من النهر الذي تقوم هذه الغابة على ضفتيه .

كان أشد الأعضاء سعادة بهذه الرحلة سرور الذي ما كاد يطمئن إلى أن

الفرقة اختارت مكانها من الغابة حتى انطلق يتسلق الأشجار ويقفز بينها ويتدلى من أغصانها تماماً كما كان أجداده يفعلون في غابر الزمان . ولم يكن فصيح أقل منه فرحاً بالعودة إلى الطبيعة ، بل لقد بزه في انطلاقه وتمتعه بالحرية الكاملة . إذ لم يقصر نشاطه على المكان القريب من مستقر الفرقة ، بل تجاوزه إلى مسافات بعيدة في جميع الاتجاهات . وكثيراً ما كان خالد يتفقده فلا يجده . ثم يسمع صوته فجأة فوق رؤوسهم وقد اختفى بين أغصان الشجرة الكبيرة .

قالت ليلى معلقة على ذلك :

– سرور وفصيح لا يضيعان لحظة من وقتهما دون أن يستمتعا بها ، على العكس من فينو الذي اكتفى بمطاردة الفراشات واللهو معها بعض الوقت .

أجابها خالد :

– لأن فينو لا يملك مثلهما ما يمكنه من تسلق الأشجار أو الطيران بين أغصانها .

ونظروا إلى فينو الذي استرخى في مكانه فوق الحشائش الخضر وهو يقاوم النوم الذي غلبه .

تثاءب وليد وقال :

– إني أحس بالنعاس .. لا أدري كأن فينو أصابني بالعدوى .

ضحكوا من قوله ولا سيما بعد أن رأوه يذهب إلى حيث كان فينو رابضاً ، ويستلقي إلى جواره ، ويتوسد ذراعه ، ثم يغمض عينيه وهو يقول :

– سأغفو بعض الوقت هنا .. ولكن لا تنسوني إذا فكرتم بالقيام بجولة

قال عصام :

– انتظر حتى نتناول طعامنا ، ثم نم كما يحلو لك .

وافقت ليلى على ذلك بقولها :

– إنني أشعر بالجوع حقاً .. لم لا تأتوننا بالطعام ؟

نهض عصام وهو المسؤول عن شؤون التموين في الرحلات ، فأخرج من إحدى الحقائب مفرشاً نظيفاً مده أمامهم ، وأخذ يعد المائدة بيد مدربة . ولم تمض دقائق حتى كانت المائدة أمامهم حافلة بكل ما لذ وطاب .

صاح عصام :

– وليد .. لقد دق ناقوس الطعام .

وبحركة مضحكة قفز وليد من مضجعه وأسرع إليهم وقد شمر عن ساعديه كما لو كان يهم بخوض معركة . وأقبل فينو خلفه مطالباً باستحقاقه من الوليمة . وفي هدوء وأدب جلس صامتاً ينظر إليهم ، فتناول خالد لفافة خاصة فضها فإذا بها ملآى بقطع اللحم الخاص به ، فدفع بها إليه قائلاً :

– إليك طعامك .

وما كادوا يمدون أيديهم إلى الطعام حتى سمعوا صوت فصيح يردد :

– فصيح جوعان .. فصيح جوعان ..

ضحك خالد ونظر إلى الشجرة فوقهم حيث كان فصيح وقال له :

– ابحث عن سرور وائت به لتناول الغداء ..

ولكنه لم يطع الأمر ، بل هبط بينهم وهو يقول :

– سرور لا .. فصيح جوعان .. سرور لا ..

ألقى إليه خالد بموزة ضخمة وقال :

– سأخبره إذا حضر بما تقول .

لم يكترث فصيح للتهديد بعد أن حصل على الموزة الشهية ، فقال وهو يهم بقضمها :

– يا لله موز . ! فصيح يحب الموز .. سرور لا .

ويا ليته لم يقل ذلك ، فقد كان سرور ينظر إليهم من فوق الشجرة ، وقد سمع ورأى كل شيء . وفي سرعة وخفة قفز قفزة واحدة كان بعدها يقف أمام فصيح المسكين ، ويخطف منه موزته الشهية ليغيبها في فمه الواسع دفعة واحدة وهو يضحك ساخراً منه ومن صراخه الذي ملأ الدنيا .

أسرع خالد يتدخل في النزاع قبل أن يستفحل ، وتظاهر بزجر سرور ، وعوض على فصيح بموزة أخرى أشهى وأكبر ، فأخذها هذا واحتمى بليلى وهو يقول :

– فصيح الموز .. سرور ..

شعرت ليلى بالإشفاق عليه فقالت :

– خالد .. أرجوك أن تحمي المسكين من هذا اللص .. ألا تراه يرتجف من الخوف ؟

كان سرور يحدق فعلاً بفصيح ، وينظر إلى موزته نظرات كلها طمع وشراهة . فلم يجد خالد بداً من منحه بعض الموز اتقاء لشره .

وفي جو مرح وشهية جددها النشاط والجو النقي والهواء الطلق أقبلوا على

الطعام فأتوا عليه كله . وفي خلال ذلك لم يكف سرور عن مشاكسة فصيح الذي راح يأكل موزته بسرعة قبل أن يسلبه سرور إياها ويكون مصيرها كمصير الموزة الأولى . فلما انتهى منها ، ولم يبق معه شيء يخاف عليه ، جاء إلى خالد فجلس في حجره ، وراح يقول منتقماً لنفسه :

– سرور لص .. سرور حمار .. سرور لص ..

كان طبيعياً ألاّ يسكت سرور على هذه الإهانات المتوالية ، فهمّ أن يبطش بفصيح لولا تدخل خالد في اللحظة المناسبة .

وفي هذه الأثناء تعالى صوت ناي رخيم يأتيهم من خلال الأشجار . كان النغم ساحراً حزيناً شدّ انتباههم وأسر مشاعرهم .. وكاد يقترب منهم ببطء فيزدادون لقربه نشوة وطرباً .

وظهر أمامهم عازف الناي خارجاً من بين الأشجار . كان يرتدي معطفاً صيفياً من النوع الرخيص ، وقد امتلأت جيوبه كلها بالنايات من مختلف الأحجام ، كما حمل كيساً معلقاً على كتفه مملوءاً بتلك النايات المختلفة . كان واضحاً أنه بائع نايات متجول يدعو إلى بضاعته بهذا العزف الجميل .

قالت ليلى :

– أود شراء ناي منه .

نادى عصام الرجل الذي كف عن العزف وأقبل عليهم يسعى ببطء .

قال وليد وقد لاحظ وجود نظارة سوداء على عينيه :

– يبدو أن المسكين أعمى ..

قال عصام :

– كيف يكون أعمى وهو يسير بغير قائد أو عصا .

وصل الرجل إليهم فقال بصوت ناعم لا يتناسب ومنظره الخشن ولحيته النامية :

– بماذا أستطيع أن أخدمكم ؟

قالت ليلى :

– أرغب في شراء ناي منك . ولكني لا أعرف كيف استعمله .

لم يجب الرجل ، وانهمك في فحص النايات حتى وقع اختياره على واحد منها ، فرفعه إلى شفتيه ونفخ فيه ، ولما اطمأن إلى سلامته وجودة صوته قال وهو يدفع به إلى ليلى :

– إليك هذا الناي .. إنه جيد جداً .. وهو صغير يناسبك ..

سألته ليلى :

– بكم .. ؟

أجابها :

– بليرتين .. ولك أنت بليرة ونصف .

ولم تساومه ليلى ، فأخذته بالثمن الذي طلبه وقالت :

– هل لك أن ترشدني إلى الطريقة الصحيحة التي يمكنني بها العزف عليه ؟ كان عندي ناي من قبل ، ولكني كنت كلما نفخت فيه لم ينبعث منه سوى فحيح مزعج مخيف .

قال البائع :

– يحتاج الأمر إلى محاولات كثيرة .

قال خالد :

– ولكن لا بد أن هناك طريقة لاختصار هذه المحاولات .

قال البائع موافقاً :

– هذا صحيح .. ولكن شرح الطريقة أمر يطول .. وأنا رجل بائع ولست معلماً ..

قال خالد :

– نحن لا نطلب شيئاً بالمجان .. سندفع لك أجر تعليمها العزف .

ولم يجب الرجل فقال خالد يشجعه :

– سنشتري منك ثلاثة نايات لقاء تعليمها .. فما قولك ؟

وأضاف عصام محاولاً إثارة حماسته :

– وسوف ندفع لك خمس ليرات أجراً لهذا الدرس البسيط .

وظل الرجل صامتاً ساكتاً لا تثيره هذه الاغراءات ، فقال له وليد :

– إنها صفقة طيبة ولا شك .. هيا أيها الأخ وقل إنك قبلت .

هز الرجل رأسه نفياً وقال :

إنني في عجلة من أمري .. وكنت في طريقي إلى العودة إلى المدينة عندما ناديتموني .

قال خالد وقد يئس منه :

– أنت وشأنك ..

ثم قال لعصام :

– هيا نستعد للعودة .. أخشى إذا تأخرنا أكثر من ذلك ألا نجد سيارة تحملنا .

قالت ليلى :

– ولكن سرور لم يعد بعد

التفت خالد إلى فينو وقال :

– اذهب يا فينو وعد بهذا الشقي .

وانطلق فينو كالسهم ينفذ الأمر بينما شرعت الفرقة في جمع متاعها استعداداً للعودة . أما عازف الناي فقد تركهم ومضى إلى شجرة قريبة فجلس تحتها ، وأخذ يرتب بضاعته ويحزمها استعداداً للانصراف . وبعد أن انتهى من ذلك أخرج من جيب داخلي له خليطاً من النقود المعدنية والورقية الصغيرة وراح يحصيها .

وبعد لحظات سمع خالد صوت فينو وهو ينبح بغضب ، فقال باسماً :

– لا شك أنه عثر على سرور الماكر ، وأنه يرفض المجيء معه ..

قالت ليلى :

– لن يكف عن النباح حتى يأتي به .

ولكن توقع ليلى لم يصح ، إذ ظهر فينو وحده ، فقال خالد يسأله :

– أين سرور يا فينو . ؟ لماذا لم تأت به . ؟

مدَّ فينو فمه وأمسك بقميص خالد برفق وحاول أن يجره ، فقال خالد :

– تريدني معك .. طيب .. يبدو أنه يرفض الاستجابة لك .

وانصرف خالد مع فينو حتى غابا بين الأشجار الكثيفة . وبعد لحظات

سمع الباقون حفيف أوراق الشجرة فوقهم ، ثم بصروا بسرور يقفز ببراعة وقد أمسك بيده لفافة ضمها إلى صدره بقوة .

هتفت به ليلى :

– ما هذا الذي معك يا سرور ؟

ولم يجب سرور بشيء ، بل راح يدور بعينه في المكان باحثاً عن خالد ، فلما لم يجده ازداد تشبثاً باللفافة وانطلق يعدو بها . ومر في عدوه بعازف الناي الذي ما كاد يرى اللفافة في يده حتى ترك بضاعته وانطلق يجري خلفه .

قال عصام وقد أثار تصرف الرجل استغرابه :

– ما حكاية هذا الرجل . ؟ لماذا يعدو وراء سرور . ؟

قال وليد :

– سألحق به .. ربما تسبب في أذىً لسرور ..

وانطلق يعدو خلفهما حتى غاب الجميع بين أشجار الغابة .

قال عصام :

– يا للرجل المخبول . ! لقد ترك بضاعته دون اكتراث .

قالت ليلى :

– يبدو أن اللفافة التي مع سرور تخصه .

قال عصام :

– لا أظن ذلك .. لقد كانت مع سرور وهو فوق الشجرة .

وظهر الآن فينو وخلفه خالد الذي صاح بهم وهو في مكانه :

– ألم يأت سرور . ؟

أشار عصام إليه بيده ودعاه قائلاً :

– تعال .. هناك أمور جديدة ..

أقبل خالد فقال له عصام :

– ألم تلتق بوليد أو بسرور ؟

وحين أجاب بالنفي قالت ليلى :

– لقد هبط علينا سرور من الشجرة بعد ذهابك ، وكان يحمل لفافة لا ندري من أين جاء بها ، ولما لم يرك هنا انطلق ثانية كأنه يبحث عنك .

قال خالد :

– اذن سأنتظره هنا .. ولكن أين وليد ؟

قال عصام شارحاً :

– لقد حدث أمر غريب .. إذ ما كاد سرور ينطلق بلفافته الغريبة حتى ترك بائع النايات بضاعته وراح يجري خلفه .. وخشي وليد على سرور من البائع فانطلق يجري خلف الاثنين .

قال خالد :

– فينبغي أن نسرع خلفهم حتى نحول دون حدوث مكروه لأحد .

قالت ليلى مستنكرة :

– ونترك متاعنا وبضاعة الرجل المسكين دون حراسة . ؟

وأيدها عصام قائلاً :

– وربما عاد وليد وسرور فلم يجدانا .. فيذهبان للبحث عنا .. وهكذا ..

قال خالد :

– هذا حق .. إذن ننتظرهم هنا ونرسل فينو للبحث عنهم .

والظاهر أن فينو فهم ما كان يدور من حديث ، فما كاد يسمع كلام خالد حتى انطلق دون استئذان يعدو خلال الأشجار حتى اختفى .

ولم يمض إلا قليل حتى تناهى إلى اسماعهم نباح فينو آتياً من مكان بعيد .

قال خالد :

– لقد وجدهم فينو وسيعود بهم بعد قليل .

ولكن انتظارهم طال ونباح فينو لا ينقطع وهو لا يزال بعيداً ، فنهض خالد قائلاً :

– سأرى ما الأمر .. وإذا جاء سرور فلا تفلتوه .

وانطلق يجري على هدي من نباح فينو حتى اختفى فقالت ليلى :

– يا لها من مهزلة غريبة !

وصمت أخوها فلم يعلق بشيء . أما خالد فمضى يعدو حتى إذا قطع بضع عشرات من الأمتار توقف فجأة أمام المشهد الغريب الذي وقعت عيناه عليه .. كان وليد مطروحاً على الأرض بلا حراك ، وفينو ممسكاً بتلابيب بائع النايات الذي كان يحاول عبثاً الخلاص من أسنانه . أما سرور فلم يكن له أي أثر .

أسرع خالد وقد زايله أثر المفاجأة فانحنى على وليد يفحصه بيد مدربة . فلما وجده سليماً من أية إصابة شرع يربت على خديه حتى استفاق وهو يتأوه ، ثم جلس وهو يمسك بمؤخرة رأسه . وما كاد يقع بصره على بائع النايات حتى هب واقفاً وقال في غضب :

– أيها المجرم .. سأحطم رأسك ..

وهمّ به لولا أن حال خالد بينه وبين الرجل الذي كان لا يزال يناوش فينو وفينو يناوشه .

صاح خالد بفينو ينهاه ، فكف الكلب إطاعة للأمر وأقبل على صاحبه يتمسح به .

قال خالد مستغرباً :

– ماذا حدث . ؟ ما الحكاية . ؟ وأين سرور ؟

أجابه وليد وهو لا يزال يتحسس رأسه :

– لقد جاءنا سرور بعد ذهابك يحمل لفافة .. فلما لم يجدك انطلق يعدو باحثاً عنك . ولحق به هذا الرجل يريد انتزاع اللفافة منه ، فجريت خلفهما لأمنعه من إيذاء سرور الذي تسلق هذه الشجرة . وبينما أنا أحاول اقناعه بالنزول قذفه هذا الرجل الوغد بحجر ضخم .. ويبدو أن الحجر سقط على رأسي ففقدت وعيي .

مضى خالد نحو الرجل الذي كان مستنداً إلى الشجرة يتفقد ثيابه التي مزقها فينو بأسنانه ، وقال له :

– لماذا قذفت القرد بالحجر وتسببت بإصابة صديقي ؟

أجاب الرجل وهو يتحسس شقوق معطفه :

– كنت أظنه قرداً شارداً .. لم أكن أعرف أنه لكم .. وظننت أن اللفافة التي معه تخصكم ، فأردت استخلاصها منه لكم .

قاطعه وليد قائلاً :

– انت تكذب .. لقد قلت لك انه قردنا فلا تطارده .. ولكنك أصررت ..

قال الرجل في برود :

– كان الكلب ينبح بشدة فلم أسمع كلامك .

كان الرجل كاذباً .. وأحس وليد بالدم يندفع إلى وجهه من الغضب فقال :

– أنت تكذب مرة أخرى .. إن فينو لم يكن قد وصل بعد .

تطلع إليه الرجل بنظرة حادة من خلال نظارته السوداء وقال في لهجة حازمة :

– تأدب أيها الفتى .. أنا لا أكذب ولا أسمح لأحد ..

وقبل أن يتم كلامه تقدم منه وليد يريد أن يصفعه لولا أن وقف خالد يحول بينهما وقال للرجل :

– اتترك بضاعتك دون حراسة لتطارد القرد خدمة لنا وأنت الذي كنت مستعجلاً للعودة إلى المدينة ؟ !

هز الرجل كتفيه بغير اكتراث وقال :

– كنت أظن انني أقدم لكم خدمة فلم أخش على بضاعتي وهي إلى جواركم .. وعلى كل فهي بضاعتي لا بضاعتكم .. ولن آسف عليها إذا سرقت بعدما لحقني بسببكم من تمزيق ثيابي واتهامي بالكذب ..

تظاهر خالد بتصديقه وقال :

– نحن آسفون لما حدث ، وسنعوضك عن المعطف الذي تمزق .

وحاول وليد التملص من خالد ليضرب الرجل الكاذب ، ولكن قبضة خالد اشتدت على ساعده فسكت مكرهاً .

استعد الرجل للانصراف قائلاً :

– العوض على الله وحده .. لا أريد منكم شيئاً .

ومضى الرجل فهمّ وليد باللحاق به واعتراضه لولا أن همس خالد له قائلاً :

– دعه يذهب .. لا حاجة بنا إلى مشاكل جديدة .. هيا بنا للبحث عن سرور .. ولكن أين فينو .. يظهر أنه سبقنا في البحث ..

انطلقا يجوسان المكان في جميع الاتجاهات وهما يناديان الحيوانين باسميهما ولكن دون جدوى حتى استبد القلق بخالد فقال :

– أين ذهبا ؟ أخشى أن يكون سرور قد أصيب بمكروه .

أجابه وليد :

– إذن فأين فينو ؟

وهنا سمعا صوت فصيح وهو يردد بخوف وذعر شديدين :

– إلحق يا خالد .. إلحق .. سرور .. يا خالد .. سرور ..

وهبط الطائر الذكي على كتف خالد الذي قال يسأله :

– ماذا أصابه يا فصيح ؟ أين هو سرور . ؟

أجاب الطائر الذكي :

– سرور نائم .. هناك .. سرور نائم ..

هتف به خالد :

– خذنا إليه حالاً ..

انطلق يطير أمامهما ، ثم يحط على أحد الأغصان ينتظرهما ، ثم يطير .. وهكذا حتى توغل بهما بين الأشجار الكثيفة مسافة بعيدة . وفجأة سمعا صوت هرير فينو وزمجرته مما يدل على أنه في معركة حامية .

أسرع خالد متتبعاً مصدر الصوت حتى وصل إليه ..

كان سرور مقيد القدمين واليدين وإلى جواره لفافة انحنى عليها شاب يحاول التقاطها ، ولكن فينو كان يحول بينه وبينها وقد كشر عن أنيابه الحادة وراح يزمجر مهدداً متوعداً .

وتنبه الشاب إلى وصول خالد ووليد فهتف يستنجد :

– عادل . !

وظهر شاب مقلوب السحنة وفي يده مدية يلتمع نصلها ، وقفز إلى جانب سرور الذي استبد به الذعر ، ثم مد يده نحو اللفافة وهو يقول :

– هذه اللفافة لنا .. وسنأخذها .. لقد اختطفها هذا القرد اللعين ..

أخذ سرور في همهمة يعرفها خالد حق المعرفة : إن الشاب يكذب . هذا ما يحاول سرور أن يقوله .

قال خالد بهدوء :

– بما أنها لك فسوف تأخذها . ولكن لا داعي لهذا التهديد .. إن هذا الكلب مدرب . وستجد نفسك مجرداً من سلاحك ، ولن أضمن لك بعد ذلك شيئاً إذ فقد صبره وخرج عن طوره .

انحنى الشاب وعينه على فينو . وما كادت يده تلمس اللفافة حتى حدث

ما توقعه خالد .

قفز فينو قفزته الرهيبة ويداه في صدر الشاب وفمه القوي مطبق على معصمه .. وفي لحظة انتهى كل شيء .. انطلق الشاب الأول يعدو وهو لا يلوي على شيء .. أما الشاب الثاني فكان منطرحاً على الأرض وهو يصرخ فزعاً ، وقد جثم فينو فوق صدره وراح يحاول الوصول إلى عنقه لينهشه .

ألقى خالد بنفسه بينهما ليحول دون فينو وتمزيق عنق الشاب ، ولحسن حظ الشاب وصل خالد في الوقت المناسب فحال بذلك دون وقوع كارثة محققة ، وما كاد يرد الكلب بصعوبة عن فريسته الذي كان يرتجف من الخوف حتى نهض هذا وولى الأدبار لاحقاً برفيقه .

قال خالد :

– فصيح .. اتبعهما .. اسرع يا فصيح . !

وانحنى خالد يفك وثاق سرور الذي تعلق بعنقه وأخذ يقبله .

أمسك خالد باللفافة التي تسببت في كل هذه المعارك ، فنزع القماش من حولها ، فظهرت في داخلها حقيبة حمراء نسائية كبيرة بعض الشيء .

فتحها خالد وهتف في ذهول :

– يا الله . ! أنظر يا وليد .. انها ملآى بالدولارات .

قال وليد وهو يفحص الأوراق :

– إنها جميعاً من فئة ٥٠٠ دولار .. يا لها من ثروة !

أغلق خالد الحقيبة ، وأعاد لفها مرة أخرى على عجل وقال :

– هلمّ بنا يا وليد .. يجب أن نغادر هذا المكان فوراً .

وأسرعا عائدين إلى حيث جلست ليلى وعصام وقد استبد بهما القلق والخوف عليهما ولما اجتمع شملهم قال خالد :

– اسرعوا .. اتبعوني ..

سأله عصام وقد أدرك من حالته أن أمراً ما قد حدث :

– ماذا جرى يا خالد . ؟

استمر خالد في سيره وهو يقول :

– انظروا .. أليست هذه بضاعة بائع النايات ؟ لقد ألقاها جانباً بعد أن لم يعد في حاجة إليها .

لم يفهموا مقصده وهو يتقدم مسرعاً فقالت ليلى وهي تلهث :

– على مهلك يا خالد .. لم تركض هكذا ؟

أجابها وهو يقلل من سرعته :

– عندما نجتاز هذا الجسر لا يبقى ما نخافه .. هلموا الآن ..

وحين صاروا في منتصف الجسر أقبل فصيح يخفق بجناحيه حتى حط على كتف خالد الذي سأله :

– أين ذهبوا يا فصيح ؟

أجابه الطائر الذكي :

– هناك .. هناك ..

سأله خالد :

– هل ذهبوا إلى موقف السيارات . ؟

أجابه فصيح :

– هناك .. مركب .. هناك مركب .. كثير .. كثير ..

قال خالد :

– لقد شاهدهم يهربون إلى مركب . وكلمة كثير يعني بها وجود آخرين معهم .. هذا يحتم علينا سرعة الرحيل قبل حلول الظلام .

وساروا نحو موقف السيارات وأنظار المتنزهين تلاحقهم باسمة لمنظرهم الغريب .

ذهب خالد إلى سائق إحدى السيارات وسأله :

– نريد العودة إلى المدينة .

أجابه السائق وهو يتفرس فيهم باستغراب وقال :

– وهل سيركب معنا هذا القرد ؟

أجابه خالد :

– إنه لطيف جداً ، وسترى ذلك بنفسك .

ولكن السائق لم يقتنع واعتذر قائلاً :

– إن المكان ملآن بالسيارات فابحث لك عن سيارة أخرى .

وأقبل في هذه اللحظة شاب يقول :

– إلى أين تريدون الذهاب ؟

أجابه عصام :

– إلى المدينة .

قال الشاب :

– سآخذكم أنا .. اتبعوني .. هذه سيارتي .

وأشار إلى سيارة حمراء قديمة وقال :

– إنها ليست جديدة . ولكنها قوية . وسترون كيف أسابق بها أحدث السيارات .

وهنا انقض فصيح على الشاب يحاول نقره لولا أن نهره خالد فعاد إلى كتفه وهو يتململ ويردد :

– المركب يا خالد .. المركب يا خالد ..

أجابه خالد :

– لا يا فصيح .. سنركب السيارة .

فعاد فصيح يردد :

– المركب يا خالد .. المركب يا خالد ..

وكانوا قد وصلوا إلى السيارة ، فجلس خالد في المقعد الملاصق للسائق وفصيح لا يزال فوق كتفه . وجلس سرور إلى جوار الباب وقد بدا عليه الوجوم وعدم الرضى .

عاد فصيح يصيح بإلحاح :

– المركب يا خالد .. المركب يا خالد ..

كان خالد غارقاً في التفكير فلم يهتم بصياح فصيح وإلحاحه .

قالت ليلى :

– كف عن هذا الصياح يا فصيح .. أي مركب تريد ؟

أجابها فصيح :

– المركب يا ليلى .. المركب .. كثير ..

زجره خالد مرة أخرى فسكت مكرهاً ، ولكنه ظل يرمق السائق بنظرات عدائية .

كان السائق صادقاً فيما قال عن سيارته ، فقد انطلقت بسرعة لا بأس بها . وبعد لحظات قال السائق :

– إلى أي حي في المدينة ؟

أجابه خالد :

– إلى حي السليمانية .

أجاب السائق :

– لماذا لم تقولوا ذلك من قبل ؟ ان السليمانية في الجانب الآخر من المدينة .

قال عصام :

– وما الفارق ما دمت ستأخذ أجرك كاملاً ؟

ولم يفهم أحد سبباً لانزعاج السائق ، ولكنهم لاحظوا أنه يكثر من النظر إلى المرآة أمامه . وتظاهر خالد بأنه يريد محادثة ليلى ، فالتفت إلى الوراء ونظر من خلال زجاج السيارة الخلفي فرأى السيارة التي رفض سائقها حملهم تتبعهم على مسافة ثابتة . وكرر خالد النظر مرات فإذا بالسيارة على المسافة نفسها لا تتقدم ولا تتأخر .

وعندما وصلوا إلى مشارف المدينة قال خالد للسائق :

– خذ طريق الكورنيش من فضلك .

استدارت السيارة إلى الطريق الذي عينه خالد ، فالتفت هذا إلى الوراء

بحجة أنه يحدث رفاقه وقال :

– كان يوماً حافلاً يا عصام . ويبدو أنه لم ينته بعد ..

وكان في خلال كلامه يراقب السيارة الثانية ، فرآها هي الأخرى تنعطف وتأخذ طريق الكورنيش وتظل محافظة على المسافة نفسها .

لم يعد أمام خالد مجال للشك في أن السيارة تلاحقهم . ولكنه لم يدرك السبب . ونظر إلى ركابها فإذا هم ثلاثة عدا السائق . ولم يستبعد أن يكون الجميع مسلحين . ولكن هل يفكرون في مهاجمتهم للاستيلاء على الحقيبة ؟ ربما . بل إن هذا مرجح بعد أن هيأ خالد بنفسه لهم الفرصة لذلك عندما طلب من السائق السير في هذا الطريق الذي تخف فيه الحركة ..

وتحققت شكوك خالد عندما رأى السيارة التي تلاحقهم تقترب منهم مسرعة كأنها تريد إدراكهم . لقد دنت لحظة الخطر ، ولا بد من عمل شيء .. ولكن ما العمل وهم عزل من أي سلاح في هذا الطريق المقفر ؟

وفجأة لاحت أمامهم بوابة يتوسطها حاجز عسكري ، فأخذ السائق يهدئ من سرعة سيارته ، ثم توقف بها أمام الحاجز تماماً .

وأقبل جندي يحمل رشاشه على كتفه ليتفحص هوياتهم قبل أن يفتح لهم الحاجز ، فانتهز خالد هذه الفرصة التي لا تفوت ، وفتح باب السيارة إلى جانبه ونزل وهو يقول لرفاقه :

– هيا .. انزلوا جميعاً ..

قال الجندي يسأله :

– إلى اين . ؟

أجابه خالد :

– إلى هنا .. سنبقى إلى جوارك .. هل لديك مانع ؟

أجابه الجندي وهو يرقبهم بدهشة :

– إلى جواري هنا . ؟ لماذا . ؟

ولم يجبه خالد ، بل التفت إلى السائق وقال له :

– كم أجرك . ؟

سأله السائق في دهشة ممزوجة بعدم الرضى :

– ماذا . ؟ ألن تذهبوا إلى السليمانية ؟

أجابه خالد وهو ينظر إلى السيارة الثانية التي وصلت الآن ووقفت تنتظر دورها في المرور :

– لا . لن نذهب إلى هناك .. كم تريد ؟

سأله الجندي :

– من أين ركبتم معه ؟

أجابه خالد :

– من الغابة الخضراء .

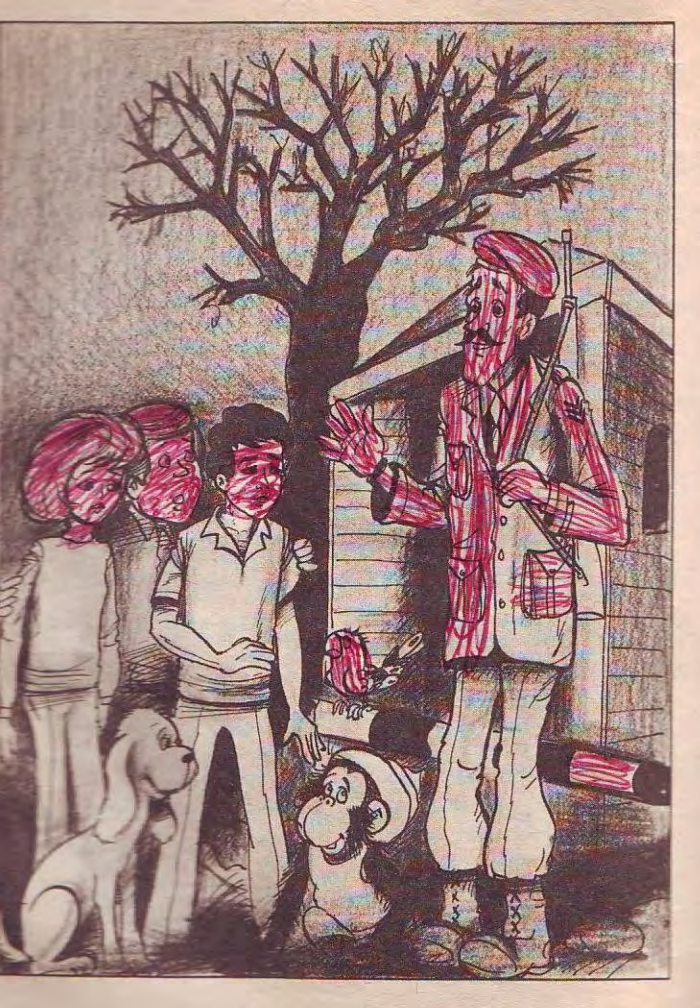
قال الجندي للسائق :

– كم تريد .. ؟ لماذا لا تجيبهم . ؟

قال السائق :

– كيف أتركهم هكذا في هذا المكان المقفر ؟

أجابه خالد بإصرار :



واحتموا بالحاجز العسكري .

– هذا شأننا .. لن نكمل الطريق معك .. فأخبرني كم تريد ؟

ويئس السائق من إقناعهم بالعودة إلى السيارة فقال :

– هات عشر ليرات .

ونقده خالد ما طلب بينما كان الجندي يفتح خشبة الحاجز .

ومرت السيارة الأولى ، ثم تبعتها الثانية بعد تفتيش روتيني سريع . واستطاع خالد رغم الظلام الذي بدأ يرخي سدوله أن يرى نظرات الغيظ التي كانت تنبعث من عيون ركاب السيارة الثانية وهي تمضي في طريقها مكرهة .

أعاد الجندي خشبة الحاجز إلى مكانها ثم التفت إلى الفرقة وراح يتأملها في سرور ودهشة حقاً لقد كان منظرها مسلياً : ثلاثة فتيان وفتاة ، وكلب وببغاء ، وقرد يرتدي سترة وبنطالاً كأنه إنسان حقيقي .

وأقبل عليهم وهو يقول مبتسماً :

– لماذا تركتم السيارة وفضلتم النزول هنا ؟

أجابه خالد :

– مجرد إحساس بالخوف .

ابتسم الجندي وقد شعر بالفخر إذ صار شخصية يُحتمى بها وقال :

– ومم تخافون ؟ وهل يليق بالرجال أن يخافوا . ؟

قال خالد :

– لست أدري .. إن السائق كان ينظر إلينا نظرات لا تشعر بالاطمئنان ، ففضلت أن أصرفه وأنتظر سيارة أخرى ونحن في حماك .

ازداد انتفاخ الجندي بالفخر ، فابتسم وهو يقول :

– ولكن سيارات الأجرة التي تمر من هنا قليلة .. وقد يطول انتظاركم دون جدوى .. انتظروا سأخابر الضابط وأحدثه بشأنكم .

قال هذا ودخل إلى الكوخ الخشبي الذي كان قائماً على جانب الطريق ، فرفع سماعة الهاتف ومضى يتكلم .

وخرج بعد قليل وهو يقول :

– من حسن حظكم أن الضابط ينوي النزول إلى المدينة ، وقد تطوع بأخذكم معه .. انتظروا قليلاً فانه في الطريق إلى هنا .

وبعد أقل من ثلاث دقائق أقبلت من طريق ترابي فرعي سيارة جيب عسكرية يقودها ضابط شاب برتبة رائد .

وقفت السيارة عند نقطة الحراسة ، وأمر الضابط فرقة المغامرين بالصعود إليها . وما كاد آخر فرد يأخذ مكانه فيها حتى انطلق الضابط بها وهو يومئ برأسه راداً تحية الجندي الذي وقف إلى جوار الحاجز في وقفة عسكرية متشنجة .

التفت الضابط إلى خالد الذي كان إلى جانبه وسأله :

– ما هي حكايتكم أيها الفتى . ؟

شرح له خالد الأمر من أوله إلى آخره دون أن يذكر له شيئاً عن مضمون الحقيبة . وكان الضابط خلال ذلك لا يفتأ يضحك من غرابة الأحداث وطرافتها . ولما فهم من خلال الأسئلة والأجوبة أن خالداً ابن للمفتش جميل زاد ترحيبه بهم لمعرفة سابقة له بالمفتش ، وأصر على إيصالهم إلى منزل

خالد قبل أن يتوجه هو إلى شأنه .

وكاد خالد يرفض هذا الإكرام الذي سيؤخر الضابط عن عمله لولا أنه لمح على أضواء سيارة الجيب سيارتين كانتا تقفان إلى جانب الطريق عرف فيهما سيارة الأجرة التي كانوا يركبونها ، والسيارة الأخرى التي كانت تلاحقهم . ولم تكد سيارة الجيب العسكرية تمرق أمام السيارتين الواقفتين حتى انطلقت إحداهما ، وهي السيارة الثانية السوداء تلاحقهم من جديد .

واستطاع خالد على الرغم من سرعة مرورهم بالسيارتين أن يلمح الرجال الذين كانوا في السيارة السوداء ، وزاد من عجبه أن رأى سائق سيارة الأجرة قد انضم إلى ركاب السيارة الثانية ، كما استطاع أن يلمح من بينهم الشاب بائع النايات الذي تخلى عن نظارته السوداء وعن معطفه الممزق فبدا شخصاً آخر قاسي النظرات صارم القسمات .

أدرك خالد سريعاً أن السيارتين توقفتا في هذا المكان بانتظار مرورهم بسيارة أخرى لتعقبهم مرة ثانية . ولذلك لم يسعه إلا أن يقبل بعرض الضابط الشهم شاكراً وهو يقول :

– شكراً يا سيدي على كرمك .

قال الضابط :

– لا شكر على واجب .. إن واجب الجيش لا يقتصر على محاربة العدو الخارجي فقط . إن من واجبه أيضاً أن يقدم المساعدة والحماية لكل من يحتاج إليهما .

* * *

ولنترك سيارة الجيب تمضي إلى غايتها بركابها لنرى ما كان يجري مع أهل السيارتين الأخريين .

فما كادت السيارتان تجتازان الحاجز العسكري ببضع مئات من الأمتار حتى توقفتا الواحدة خلف الأخرى . ونزل ركابهما جميعاً منهما .

وأقبل بائع النايات من السيارة السوداء إلى سائق سيارة الأجرة وراح يمطره بوابل من اللعنات والشتائم .

قال السائق مدافعاً عن نفسه :

– وما حيلتي أنا .. لقد انتهز الفتى فرصة وقوف السيارة ليغادرها هو ورفاقه على تلك الصورة المفاجئة .

وعندئذ التفت بائع النايات الذي بدا أنه زعيم هذه الشلة من الرجال وقال يخاطب الشابين اللذين كانا معه في السيارة :

– لولا جبنكما وغباؤكما ما حدث كل هذا! .. صبية صغار السن يسخرون منا على تلك الصورة ؟

أجابه أحدهما بثورة مكبوتة :

– لسنا نحن الأغبياء .. بل هو الغبي الذي اختار تلك الطريقة السخيفة ليخفي الحقيبة ، ثم لينسى مكانها في اليوم التالي .

وتشجع زميله فقال :

– منذ أسبوع وأنا أتسلق الأشجار كالقرد بحثاً عن هذه الحقيبة اللعينة دون جدوى .

قال بائع النايات :

– وأنا .. ألم أقض هذا الأسبوع أنفخ في النايات وأراقب الأشجار حتى انتفخ صدري وانقصمت عنقي ؟

قال الرابع :

– وما العمل الآن ؟ لو عدنا بهذه الأخبار إلى الزعيم لقضى علينا جميعاً ..

وبينما هم يتداولون الآراء إذ مرقت سيارة الجيب العسكرية حاملة الضابط وأفراد فرقة المغامرين .

قال بائع النايات وقد عرف ركاب السيارة :

– هيا وراءهم قبل أن يفلتوا منا ..

قال سائق سيارة الأجرة :

– وأنا .. ؟ ماذا أفعل . ؟

أجابه بائع النايات :

– أترك سيارتك المسروقة هنا .. لقد أصبحت منذ الآن خطراً علينا بعد أن عرف الأولاد أوصافها .. وليس بعيداً أن يكونوا قد التقطوا رقمها .. اتركها واركب معنا .

صعد الرجال الخمسة السيارة السوداء ، وراحوا يطاردون سيارة الجيب العسكرية .وما كادوا يقتربون منها وتقع أنوار سيارتهم على مؤخرتها ويقرؤوا لوحتها حتى زمجر بائع النايات غضباً وقال وهو يلعن :

– يا للأوغاد الشياطين . ! من أين جاءهم هذا الضابط بسيارته العسكرية . ؟

قال أحد الرجال :

– وما العمل الآن . ؟ اننا لا نستطيع اعتراض طريقهم ومعهم هذا الضابط ..

قال بائع النايات :

– لم يبق أمامنا سوى ملاحقتهم عن بعد إلى أن نرى متى وأين يتركهم الضابط .

وهكذا مضت السيارتان تشقان ظلام الليل بأنوار كشافاتهما إلى أن دخلتا شوارع المدينة المضاءة ، وراحتا تتلويان في هذه الشوارع حتى توقفت سيارة الجيب أمام فيلا أنيقة . كانت مضاءة الأنوار هي الأخرى .

نزل خالد من السيارة وقال يشكر الضابط :

– شكراً لك يا سيدي .. ألا تنزل معنا لتناول فنجان من القهوة ؟

أجاب الضابط الشهم :

– لا . شكراً .. إني مستعجل .. بلغ السيد المفتش تحياتي .

قال هذا وانطلق بسيارته بعد أن لوح بيده محيياً أعضاء الفرقة الذين أخذوا طريقهم إلى داخل الفيلا .

صاح فصيح يودع الضابط بعد أن غاب عن الأنظار :

– شكراً يا سيدي .. شكراً يا سيدي .

ولم ينس خالد وهو يدلف إلى داخل الفيلا أن يلقي نظرة إلى الخلف ليرى السيارة السوداء واقفة على مبعدة لا تجرؤ على التقدم . فابتسم شامتاً ودخل وأغلق الباب خلفه .

قال أحد الرجال في السيارة السوداء :

– وما العمل الآن ؟
أجاب بائع النايات :
– سأتصل بالزعيم .. انتظروا هنا .. وإذا خرجوا من المنزل فلا تترددوا في القبض عليهم .
ونزل من السيارة ، ومضى مسرعاً إلى محل لبيع الحلوى ، فدخله واستأذن صاحبه في استعمال الهاتف ، ثم أدار القرص على رقم معين ، وانتظر حتى سمع الصوت من الجانب الآخر ، فأفضى إلى محدثه بما جرى في كلمات قليلة هامسة . ثم راح ينصت ولا يجيب بأكثر من « نعم » أو « لا » . ثم قال يختم حديثه :
– سنحاول ذلك ..
ووضع السماعة مكانها وغادر المكان محنقاً .. إن هذا الزعيم لا يرحم .. كيف يسطون على المنزل وهم يجهلون كل شيء عنه ؟ كيف يسطون على منزل دون خطة مسبقة ، ودون أن يعرفوا مداخله ومخارجه وسكانه ؟
وعاد إلى رفاقه ونقل إليهم تعليمات الزعيم قائلاً :
– يقول إنه يجب أن نستعيد الحقيبة الليلة .
سأل أحدهم :
– هل نسطو على الدار ؟
أجابه بحدة :
– وهل هناك حل آخر ؟ أم تظن أن الحقيبة تأتي بنفسها ؟
قال المسكين وهو يتحسس رسغه المعضوض :

– مع وجود هذا الكلب المفترس ؟ انه الانتحار بعينه ..
وافق أحدهم على قوله قائلاً :
– انه لن يمكننا من مجرد الاقتراب من الدار ..
قال بائع النايات :
– لقد نقلت لكم رسالته .. ولا بد من القيام بالعملية .. وبدلاً من الجدال الذي لا فائدة منه قوموا فاسألوا أصحاب المحلات المجاورة عن البيت وسكانه ، واجمعوا أكبر كمية من المعلومات التي يمكن أن تساعدنا في عمليتنا ..
نزل الرجال من السيارة كما أمر ، وتفرقوا في الشوارع المجاورة لجمع المعلومات . وبعد دقائق عادوا إليه مسرعين وقد استبد بهم الذعر .
قال أحدهم وهو يرتعد :
– أتعلم منزل من هذا ؟ انه منزل المفتش جميل المسعودي .. والفتى الذي كان مع الأولاد هو ابنه خالد ..
قال الثاني :
– هيا بنا من هنا سريعاً .. لئن وقع بصر المفتش عليَّ لتكونَنَّ نهايتي
وقال الثالث :
– وأنا كذلك .. لقد قبض عليَّ مرتين .. وهو يعرفني جيداً .
قال بائع النايات :
– إنه أمر خطير حقاً .. هلموا بنا إلى الزعيم ولنترك له هو أن يتصرف .

مراجعة وتفكير

كان استقبالاً عاصفاً ذلك الذي استقبلتهم به السيدة سعاد ، ومع ذلك فقد تمكن خالد ببضع كلمات اعتذار رقيقة أن يستعيد رضى أمه ، ويعيد إليها ابتسامتها الحلوة ، ويجعلها تقول في حنان :

– لا شك أنكم في حاجة شديدة إلى الطعام .. سأعد لكم وجبة خفيفة بنفسي ..

وما ان انفردوا حتى أسرع خالد بالحقيبة الثمينة إلى حجرته حيث أودعها في خزانة ملابسه ، ثم عاد إليهم سريعاً .

قالت ليلى :

– والآن .. إليّ بكل المعلومات .. انني حتى الآن لا أكاد أفهم شيئاً .. ولم تتح الأحداث المتلاحقة فرصة لي بسؤالك ..

قال خالد :

– الظاهر حتى الآن أن الحقيبة تخص عصابة ما . وأقدر أنها كانت في حوزة أحدهم والشرطة تطارده . فهرب بها إلى الغابة ، وتسلق إحدى الأشجار ، ثم لف الحقيبة بقميصه وأخفاها في شق من تلك الشقوق التي تحدث في أغصان الأشجار الهرمة ، ثم هبط مسرعاً ليهرب على أمل العودة

واسترداد الحقيبة بعد أن يتخلص من الشرطة ويأمن الملاحقة . ويبدو أنه لم يهتد إلى الشجرة المطلوبة عندما عاد لاسترداد الحقيبة ، فجاء أفراد العصابة للبحث عنها دون جدوى إلى أن عثر عليها سرور بالمصادفة . ثم كان ما كان ..

قال عصام وقد بدا عليه أنه بدأ يفهم :

– الآن فهمت سبب مطاردة بائع النايات لسرور .. لا بد أنه من العصابة ..

قالت ليلى :

– لا شك في ذلك أبداً ..

قال وليد :

– إن ما يحيرني حقاً هو عدم استيلاء العصابة على الحقيبة بعد أن قبضوا على سرور وقيدوه .

فكر خالد برهة وقال :

– لا أحد يعرف الإجابة عن هذا السؤال إلا سرور والرجلان اللذان قيداه . ولكن يبدو لي أن القرد المسكين أخذ على حين غرة منه ، ولم تكن الحقيبة معه آنئذ .. ولو كانت معه لأخذها الرجلان وهربا .

قال وليد :

– إذن أين كانت . ؟ وما تفسير ظهورها إلى جواره حين أسرعنا إليه ؟

ضحك خالد وقال :

– احتمال واحد للأمر .. إنني أتخيل سروراً يحمل الحقيبة ويصعد بها إلى

الشجرة ، ويضعها فيما ظنه مكاناً أميناً ، ونزل ليبحث عني ليعطيني إياها .. فلما نزل على الأرض كان الشقيان في انتظاره فقبضا عليه وقيداه خشية أن يتسلق الشجرة ثانية ويسبقهما إلى الحقيبة ..

وهنا صفقت ليلى معجبة ببراعة الاستنتاج وقالت مكملة :

– ولم يكن من الصعب على الشقيين أن يصعد أحدهما إلى الشجرة ويبحث عن الحقيبة ، ثم وحين وجدها ألقاها إلى زميله في اللحظة التي ظهر فيها فينو وحال بينهما وبين أخذ الحقيبة إلى أن أدركتماه وهو في صراعه معهما .

قال عصام :

– ولكن لم نسمع من خالد تفاصيل ما جرى هناك .

قال خالد :

– انه لا يخرج عما تصورته ليلى .. دارت معركة رهيبة بين فينو والشقيين، وأجبرهما على الهرب على الرغم من أن أحدهما كان يحمل خنجراً رهيباً .

سأله عصام باهتمام :

– ولكن ما سر شكك في أمر السائق ، وإنزالنا من سيارته ، وطلبك منه قبل ذلك أخذ طريق الكورنيش . ؟

ابتسم خالد وقال :

– لقد كان السائق من رجال العصابة أيضاً .. وكذلك كان السائق الأول الذي رفض إركابنا في سيارته .

قال عصام في دهشة :

– وكيف عرفت ذلك ؟

قال خالد :

– لقد أثار السائق الثاني شكوكي بكثرة نظره في المرآة العاكسة . ولما التفت إليكم أحدثكم تحققت شكوكي عندما شاهدت السائق الأول يتبعنا ومعه في سيارته بائع النايات والشقيان الآخران . وعندئذ فهمت سر عداء فصيح للسائق وترديده لكلمات « مركب .. كتير .. » .. لقد كان يريد أن ينبهني إلى أن السائق الذي يحملنا في سيارته هو من أفراد العصابة التي ركبت المركب وقطعت النهر للحاق بنا على الضفة الأخرى .

قالت ليلى تسأل :

– ولماذا طلبت من السائق أن يأخذ طريق الكورنيش ؟

أجاب خالد :

– لكي أقطع الشك باليقين في أمر سائقنا والسيارة التي كانت خلفنا .. وبالفعل فقد تحققت ظنوني عندما رأيت السيارة الأخرى تأخذ الطريق نفسه ، وعندما لاحظت أن سائقنا بدأ يخفف من سرعته لتلحق السيارة الأخرى به . ولم ينقذنا منهم إلا وصولنا إلى نقطة التفتيش العسكرية ..

قال وليد :

– ألا يجوز أن يكون كل ذلك أوهاماً أوحى بها خيال مجنح ؟

تبسم خالد وهو يقول :

– لو كنت منتبهاً إلى الطريق أمامنا وخلفنا لما قلت هذا الكلام ..

قال عصام وقد استبد به الفضول :

– وماذا كان في الطريق ؟

أجاب خالد بهدوء :

– لم تلحظوا كلكم أن السيارتين : التي تركناها والتي كانت خلفها ، كانتا واقفتين على جانب الطريق حينما مررنا بهما في سيارة الجيب ، كما لم تلحظوا أيضاً أن الأشقياء تركوا السيارة الحمراء التي لا بد أنها كانت مسروقة ، وركبوا جميعاً في السيارة السوداء ، وظلوا يتعقبوننا حتى دخلنا المنزل .

قال عصام وقد استبدت به الدهشة :

– يا للسماء . ! ولماذا لم تخبر الضابط الذي كنا برفقته ؟

قال خالد :

– وماذا كان يستطيع أن يفعل معهم . ؟ وما التهمة التي يمكنه أن يوجهها إليهم ؟ هل كان يستطيع القبض عليهم بتهمة أن سيارتهم ساقتها المصادفة إلى السير خلف سيارته ؟

وانقطع الحديث بوصول السيدة سعاد تدعوهم إلى المائدة . وخلال تناولهم الطعام كانوا يقصون عليها مشاهداتهم في رحلتهم دون أن يتعرضوا لحديث الحقيبة وما جرته من مغامرات .

وانتقلوا بعد العشاء إلى غرفة الجلوس فقال وليد :

– وما هي خطوتنا التالية ؟

أجاب خالد :

– سأكتم الأمر إلى أن يأتي بابا فأطلعه عندئذ على كل شيء .

سأل عصام قائلاً :

– أليس في ذلك شيء من المخاطرة ؟ إذ قد تلوذ العصابة بالفرار ..

قال خالد واثقاً :

– إن العصابة لن تنسحب من الميدان متخلية عن حقيبة تحتوي هذه الثروة الضخمة . ثقوا أنهم سيلاحقوننا حتى يحصلوا عليها .. ولا أستبعد أبداً أن يكونوا لا يزالون يراقبون المنزل حتى الآن ..

ووجم الجميع لهذه الفكرة ، وقام عصام ينظر من النافذة ليتبين صحة ظنون خالد .

فقال خالد وهو يضحك :

– ما لكم وجمتم كأن العصابة صارت في منزلنا ؟

قال عصام متوجساً :

– لا أرى أن نأخذ الأمر بمثل هذا الاستخفاف .

وقال وليد يؤيده :

– وأنا على رأيك .. اننا معرضون لخطر حقيقي .

قال خالد بجد :

– الخطر موجود حقاً .. ولكنه ليس بهذه الخطورة التي تظنون ..

قال عصام :

– كيف ؟

أجاب شارحاً :

– إن العصابة لن تهاجم المنزل قبل أن تعرف كل شيء عنه وعن سكانه وعاداتهم .. الخ . وعندما تعرف من ساكن هذا المنزل فسوف تفكر ألف

مرة قبل أن تخطو نحوه الخطوة الأولى .

لمعت عينا وليد وقد فهم ما عناه خالد وقال :

– رائع يا خالد .. انك تعني اسم عمي جميل .. أليس كذلك . ؟

أجابه باسماً :

– بل أعتقد أن اعتى المجرمين سيفكر طويلاً قبل أن يهاجم منزل مفتش بالشرطة أياً يكن هذا المفتش ..

قال عصام :

– فما بالك إذا كان هذا المفتش هو جميل المسعودي ؟

قال خالد :

– لذلك أظن أنهم سيكتفون بمراقبتنا ، ومراقبة المنزل .. وإذا تنبهوا لغياب بابا عدة أيام فعندئذ فقط يبدأ الخطر .

قال عصام :

– معنى ذلك أننا في أمان لمدة يومين مثلاً ..

أجابه بصراحة :

– قد يكون أقل من ذلك .. ربما اكتشفوا غياب بابا في الغد .. وحينئذ يجب أن نتوقع هجومهم في المساء .

قال وليد :

– إذن يجب أن نستعد لهم يا خالد .. يجب أن ندافع عن المنزل بكل ما نستطيع .

ضحك خالد وقال :

– لا .. لن ندافع يا وليد .. قال أحد قادة الحروب الكبار «الهجوم خير وسيلة للدفاع» . وسأعمل برأي هذا القائد الكبير .

قال وليد محنقاً :

– أهذا وقت المزاح يا خالد . ! انني أكلمك جاداً .. يجب أن نستعد بكافة الوسائل للدفاع عن المنزل إذا فكرت العصابة بمهاجمته .

قال خالد جاداً :

– إنني لا أمزح .. سنهاجمهم .. وسيكون هجومنا خاطفاً صاعقاً ..

قال وليد :

– وهل تعرف مكانهم حتى تهاجمهم ؟

أجابه بهدوء :

– لا .. ولكنهم يعرفون عنواننا .. وسيحضرون هم إلينا ..

قال عصام :

– وهذا ما يعنيه وليد .. سنكون في حالة دفاع .

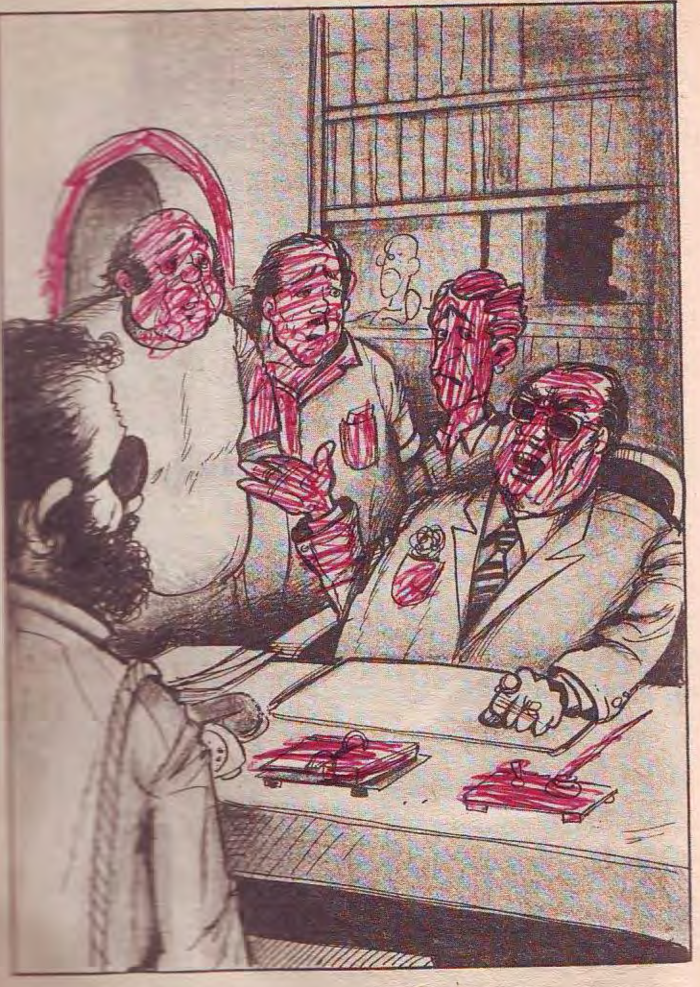
هز خالد رأسه وقال :

– ولكننا لن ننتظر حتى يبدؤوا هم بالهجوم .. بل سنهاجمهم نحن . وإن شئتم درسنا الخطة التي رسمتها في ذهني .

قالا معاً :

– هاتها حالاً ..

وجلس الأصدقاء الثلاثة يخططون . وانصرفت ليلى إلى النوم في غرفة خالتها سعاد . وبعد ساعة قال خالد يعلن انتهاء الجلسة :


واجتمعت العصابة تتدارس الأمر ..

– والآن إلى النوم .. يجب أن نصحو مبكرين لنبدأ التنفيذ .

* * *

كان حديث مماثل يدور في وكر العصابة حول الموضوع نفسه ، كان الزعيم يجلس في صدر المكان بملابسه الفاخرة ، ومن حوله رجاله ينظرون إليه بخشوع ووجل .

استمع إلى تفاصيل ما حدث بهدوء وإن كانت عيناه تقدحان شرراً ثم قال :

– أولاً أنت أيها الغبي .. لقد كان جبنك وخوفك دون مسوغ هما السبب الأول في إضاعة ربع مليون دولار ..

أجاب الرجل مدافعاً عن نفسه :

– كان الضابط ومن خلفه رجاله قادمين نحوي ، فظننت أنه سيقبض عليّ ، وأسرعت فخبأت الحقيبة فوق الشجرة .

قال له ساخراً :

– خبأتها في المساء لتنسى مكانها في الصباح . أليس كذلك ؟ ولو أنك تعرفت على مكانها في اليوم التالي لما تعرضت للضياع وما كنا لنقف موقف اليوم .. لقد مر أسبوع كامل وأغبياء أربعة يبحثون عن الحقيبة بين فروع الأشجار ويخفقون حتى يعثر عليها قرد !

وضحك ضحكة لاذعة وقال ساخراً :

– سأحاول أن أعمل مع بعض القرود ، فلا شك أنها أذكى من أمثالكم .

قال أحد الرجال وقد أثارته السخرية اللاذعة :

– سنستردها .. سأذهب معهم بنفسي وسأعود بالحقيبة .

نظر إليه الزعيم وقال :

– مهلاً .. لا تأخذك الحماسة فتسرف في الوعود وأنت تجهل حقيقة هامة .

والتفت إلى بائع النايات وقال :

– أخبره أيها الغبي .. أخبره أين يقطن هؤلاء الصبية .

قال الرجل مقاطعاً :

– لو كانوا في السماء فسوف أصعد إليهم ..

أجابه الزعيم زاجراً :

– هذا صحيح .. قد تصعد إلى السماء ولكن دون رجعة منها .. اسمع ما يقول أولاً ..

قال بائع النايات :

– إنهم في السليمانية .. وقد عرفنا مكانهم ..

عاد الرجل المتحمس يقول :

– طيب .. وهل هناك ما ننتظره بعد ذلك .. هلموا معي وسأعود لكم بالحقيبة حالاً ..

ضحك الزعيم ساخراً وقال بصوت رهيب :

– ولو كانت في منزل والد الصبي ؟ أتدري من يكون والده ؟

قال الرجل بصبر نافد :

– ليكن من يكون ، فأنت تعلم أيها الزعيم أنني لا أهاب أحداً ..

قال الزعيم بهدوء مثير :

– ولو كان منزل المفتش جميل المسعودي هو هدفك ؟

تبدل وجه الرجل واستولى عليه الرعب والذعر وقال :

– المفتش جميل ؟

ضحك الزعيم ساخراً وقال :

– نعم المفتش جميل . ومعنى ذلك أن دخول الجحيم والخروج منه أسهل بكثير من اقتحامك لمنزله .

قال الرجل متراجعاً :

– هذا حق أيها الزعيم .. لو علمت بهذه الحقيقة ما وعدتك بشيء .

اعتدل الزعيم في مجلسه ، وقال بصوت آمر :

– الآن انصتوا إلي ، وحذار أن يتصرف أحدكم بغير ما أقول .

وشرح لهم الزعيم خطته في جلسة انتهت والفجر على وشك البزوغ . وعندما انتهى الاجتماع تسللوا من الباب الخلفي حيث استقلوا السيارة وانصرفوا بها مسرعين لينفذوا أوامر الزعيم الرهيب .

* * *

خطة ضد خطة

استيقظت الفرقة في ساعة مبكرة ، حتى ليلى التي تسللت من مخدع خالتها سعاد في هدوء حتى لا توقظها وقد استبد بها الفضول لمعرفة ما فاتها معرفته من حديث الأمس ، ولكنها صدمت بمظهرهم حتى وهم يردون عليها تحية الصباح .

حاولت ليلى أن توجه سؤالها إلى خالد لتعرف ما فاتها ولكن شقيقها انبرى لها وطلب منها الاكتفاء مؤقتاً بما سمعت .

قال خالد :

– إن المعركة قد تبدأ في أية لحظة ابتداءً من الآن ، لذلك يجب أن تلمي بدورك وهو هام جداً .

قالت بفرح :

– ما دام هناك ما أفعله فهذا هو كل ما أبغي ..

قال خالد :

– إذا جاءك فصيح برسالتي فعليك أن تنفذي ما بها على وجه السرعة . وحذار أن تنتبه ماما لشيء .. ستذهبين معها إلى الجمعية .. وسيأتيك أحدنا ليعود بك في الوقت المناسب .

أجابته باسمة :

– اطمئن .. سأنفذ تعليماتك بحذافيرها ..

قال عصام :

– اصعدي اذن ، وعودي إلى الفراش في هدوء .. لا تغادري الفراش إلا مع خالتك سعاد وعندما توقظك هي ..

وصعدت ليلى . وفي حذر بالغ دخلت الحجرة واندست في الفراش ، وتظاهرت بالنوم حتى غلبها النعاس فنامت فعلاً .

أما خالد فقد أسرع إلى حجرته ، وتغيب فيها قليلاً ، ثم هبط إلى رفيقيه وقال :

– انتهينا من أمر الحقيبة .. لقد خبأتها .. الآن علينا أن نخرج إلى الأماكن التي حددناها .. سيكون فصيح مع وليد .. وسيكون سرور معك يا عصام .. وسأستبقي فينو معي ..

إذا ما اكتشف أحدكما وجودهم فليرسل لي على الفور ويظل هو في المراقبة حتى نعود إليه جميعاً .. أما فصيح وسرور فيجب أن يفهما المطلوب منهما .

ولم يحتج الأمر منه إلى وقت طويل ، فقد استطاع بطريقته الخاصة ، وبالتفاهم العجيب القائم بينه وبينهما أن يفهمهما كل ما هو مطلوب منهما .

وتناولوا إفطاراً سريعاً . ولم ينسوا نصيب الفرسان الثلاثة فينو وسرور وفصيح ، فقد اتحفوهم بإفطار شهي استعداداً للمعركة الفاصلة التي سيحتاجون فيها إلى كل قواهم .

انطلق وليد من باب المنزل وعلى كتفه فصيح صامتاً . وتلفت حوله بحذر ثم عبر الطريق ودخل سريعاً إلى الباب المواجه ، وجلس في الحديقة الواسعة ، واختار الركن الذي حدده له خالد وجلس فيه . لقد أحسن خالد الاختيار .. إن الحديقة الواسعة هي للمدرسة الثانوية . وهي في عطلة ولا يحضر البستاني إلا في العاشرة ، وحتى لو حضر ورآه فإنه يعرفه ، وقد أعدوا له الجواب المناسب أثناء إعداد الخطة . ومن خلال أعواد اللبلاب كان يرى الطريق بجلاء ووضوح . وأصبحت واجهة منزل خالد أمامه كشاشة السينما ..

ورفع أصبعه بفصيح حتى أجلسه فوق الكوخ الذي يكسوه اللبلاب وقال له مازحاً :

– فصيح رائع .. انتظر في مكانك وسأتحفك بالسكر .. هاك قطعة منه .

مد فصيح منقاره وتناول منه قطعة السكر وهو يقول :

– سكر .. الله .. سكر .. فصيح رائع ..

استراح وليد لهذه النتيجة ، وجلس في مكانه يرقب بانتباه ما يجري أمامه ..

ومرت دقائق خرج بعدها عصام في صحبة سرور ، وسارا مسرعين إلى الواجهة الخلفية للمنزل ، ودخلا إلى قطعة الأرض الفضاء ، وسارا تواً إلى كومة الآجر والحجر التي استحضرها صاحبها استعداداً لتشييد المنزل الذي قرر بناءه .

واستطاع عصام أن يختار موقفاً مناسباً ليختفي فيه ومعه سرور . وكانت الواجهة الخلفية والباب الذي يتوسطها ظاهرين بحيث يرى كل من يمر من

أول الطريق بسهولة دون أن يراه ..

قال لسرور :

– اجلس الآن وراقب معي الطريق .. عليك بهذا الجانب .. اخطرني إذا رأيت أحداً من رجال البارحة ..

كان القرد قد فهم المطلوب من قبل أن يغادر الدار ويحضر إلى المكان ، فجلس في هدوء وهو يلوك في فمه قطعة من الحلوى أخرجها من جيبه الملآن بمثيلاتها .. لقد احتاط خالد للأمر وزوده بها ليغالب بها ملل الانتظار ..

أما خالد فقد صحب فينو وصعد إلى سطح المنزل . ومن أعلى السطح كان ينظر إلى بوابة الدار ، وإلى المحلات الثلاثة المتجاورة في أول الشارع ..

وفرك خالد كفيه سروراً .. الآن لن تأخذهم العصابة على حين غرة .

ومر الوقت بطيئاً وهم في أماكنهم . وشاهد خالد من مكانه المرتفع دبيب الحركة في الطريق وأخذ يتسلى بمراقبة بائعي الحليب وهم يهرولون مسرعين في طريقهم إلى مختلف أحياء المدينة .

وبعد مدة شاهد المحلات المغلقة تفتح أبوابها لتستقبل اليوم الجديد .

ومر الوقت وأشرفت الساعة على السابعة عندما تحرك العدو وظهرت مقدمته للعيان ..

توقفت سيارة الأمس أمام محل البقال وهبط منها رجلان . أحدهما هو بائع النايات ، أما الثاني فلم يعرفه خالد وان بدا متين البنيان قوي الظهر ..

التفت إلى فينو وقال :

– فينو .. اذهب إلى وليد وعصام واحضرهما سريعاً ..

لم ينتظر فينو تكرار الأمر ، وانطلق كالسهم يهبط الدرج إلى الباب الذي تركه خالد مفتوحاً فتحة تسمح بمروره ، فمرق منه مسرعاً ليعبر الطريق في ثوان كان بعدها عند وليد الذي أدرك أن خالداً يستدعيه .

وبمنتهى الحذر غادر مكانه وهو يقول لفصيح :

– اذهب إلى المنزل .. خالد ..

واستدار فينو ليعود مسرعاً ، ولكن كان فصيح أسرع منه في عبور الطريق والطيران رأساً إلى حيث جلس خالد :

قال خالد :

– فصيح .. عصام وسرور .. اسرع واستدعهما إلى هنا ..

طار الطائر إلى هدفه مباشرة . لقد حفظ الدرس جيداً . وفوجئ عصام بظهوره وهتافه :

– عصام .. سرور .. حالاً .. خالد .. حالاً ..

نهض عصام مسرعاً وانطلق يعدو ومن خلفه سرور . أما فصيح فكان إلى جوار خالد يطمئنه على إنجاز المهمة .

خرج وليد من مكمنه وغادر حديقة المدرسة من الباب الجانبي ومن طريق دائري أصبح أمام الباب الخلفي للدار ، فدخله مسرعاً ليصعد إلى السطح .

كانوا يراقبون خطوات العدو .. لقد تحركت بهم السيارة قليلاً وتوقفت ترقب المنزل .

قال خالد :

– الآن يا عصام .. اذهب وامرر قريباً منهم وادخل محل البقال . ومن هناك تكلم بالهاتف .

وهبط عصام وحده وخرج من باب الحديقة الرئيسي ، وسار بهدوء تجاه السيارة ، فرآه بائع النايات فقال لمن معه :

– ها هو ذا واحد منهم .. إنه قادم في اتجاهنا ..

سأله الرجل الآخر :

– هل يعرفك ؟

أجابه بائع النايات :

– نعم .. حق المعرفة .. لذلك سأنخفض في مكاني حتى لا يراني .. أما أنت فلا خوف عليك لأنه لم يرك من قبل ..

وكان عصام قد وصل حتى أصبح إلى جوار السيارة . ومن غير أن يعيرها أي اهتمام سار في طريقه حتى دخل إلى المحل ..

قال بائع النايات :

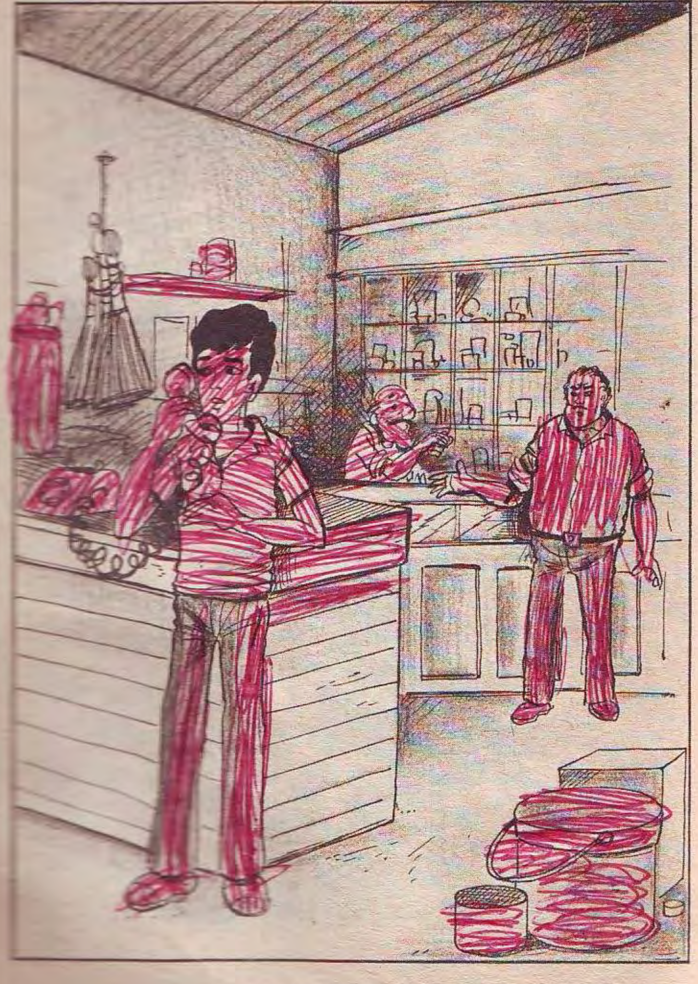
– اذهب وانظر ماذا يفعل في مثل هذا الوقت المبكر .

غادر الرجل الضخم السيارة وسار حتى دخل إلى المحل واشترى علبة سجاير بينما كان عصام يقف أمام الهاتف وهو يقول :

– آلو .. من فضلك .. رقم ٣١٤٦٨٥ معطل .. باسم المقدم جميل مسعودي .. شكراً .. نعم كتبت رقم الشكوى .. أشكرك ..

واتصل برقم آخر وعاد يقول :

– آلو سيادة الرائد ماهر ؟ لم يصل بعد . ؟ هل يمكنك اخباري بموعد



يخدع العصابة بالهاتف ..

عودة المقدم جميل مسعودي من مهمته ؟ لا تعلم . ؟ ربما بعد أسبوع . ؟ شكراً لك .. نعم اني بحاجة ماسة لمكالمة الرائد ماهر .. رقم المنزل ؟ أشكرك جداً .. لحظة حتى أكتبه ..

وتناول عصام القلم من جيبه وكتب الرقم على قطعة من الورق أخرجها من جيبه ثم عاد يقول :

أشكرك جداً ..

ومرة ثالثة أدار القرص على رقم ، وأنصت قليلاً . ولما سمع صوتاً يجيبه من الجانب الآخر ظل هو صامتاً حتى ألقى المتكلم السماعة غاضباً . وعندئذ بدأ عصام بالحديث :

– آلو .. سيادة الرائد ماهر . ؟ حضرتك . ؟ صباح الخير يا سيدي .. أنا عصام ابن عم خالد .. نعم خالد ابن عمي جميل .. آسف لإزعاج حضرتك لكن الأمر خطير جداً .. لقد أرسلني خالد لأبلغك أن لديه حقيبة يود أن يسلمها إليك .. ماذا بداخلها ؟؟

وتلفت عصام حوله وقال بصوت خافت :

– دولارات .. نعم .. مبلغ كبير جداً .. عثرنا عليها بالأمس في الغابة الخضراء ، وسوف يخبرك خالد بكل شيء عند حضوره .. متى سيحضر ؟؟ سيستقل سيارة تاكسي عقب انصراف والدته .. نعم إنه سيكون وحده .. اطمئن يا سيدي فسوف يغادر المنزل فوراً بعد انصرافها .. إنها مدعوة إلى حفل الجمعية ولن تعود إلا ليلاً .. سيكون عندك في الواحدة تماماً .

ووضع عصام السماعة ونقد الرجل أجره ، ثم انصرف عائداً إلى الدار ..

ومن مكمنهم على سطح المنزل شاهدوا الرجل الضخم يسرع إلى السيارة ، فضحك خالد وقال :

– عظيم . ! لقد ابتلعت السمكة الطعم .. وعلينا الآن أن نجذبها إلى الشاطئ ..

أما بائع النايات الذي ظهر على المقعد مرة أخرى فقد استقبل زميله المتهلل باستغراب ودهشة ولا سيما عندما قال :

– الآن استطيع أن ألقن الزعيم درساً لن ينساه ..

نظر إليه كما ينظر إلى مجنون فقد عقله وقال :

– ماذا تقول . ؟ هل جننت . ؟ أنت تلقن الزعيم درساً . ؟

أجابه موضحاً :

– نعم .. سألقنه درساً ليعلم بعده أنني سأبر بكلمتي متى وعدت بها .. لقد سخر مني أمس عندما وعدته باستعادة الحقيبة .. أليس كذلك . ؟

أجابه وقد ازدادت دهشته :

– نعم . وله أن يسخر .. فكيف بالله ستلقنه هذا الدرس ؟

أجابه بزهو وخيلاء :

– اليوم وفي تمام الواحدة ستكون الحقيبة في حوزتي .

أيقن بائع النايات أن زميله يتكلم جاداً فقال يستدرجه :

– كم أتمنى ذلك حتى يقلل من سخريته بنا ..

قال رفيقه :

– إنك في شوق لمعرفة التفصيلات . ولكني لن أخبرك بها إلا أمامه ..

والآن هيا بنا إليه ..

سأله بوجل :

– أتذهب إليه في مثل هذا الوقت المبكر ؟ أنت تعلم أنه لا يبارح فراشه قبل الثالثة .

قال الرجل الضخم :

– لا تبال بشيء .. سأتولى أنا أمر إيقاظه .

وانطلقت السيارة مسرعة وبائع النايات يحاول عبثاً معرفة أية تفصيلات ، فقد أصر زميله على الكتمان حتى يتكلم أمام الزعيم الذي وصفه بالغرور والصلف .



التنفيذ

تنهد خالد بارتياح ونظر إلى ساعته وقال :

– أمامنا متسع من الوقت لتنفيذ خطتنا .. هيا نهبط قبل أن تستيقظ ماما .

ومن حسن الحظ انها مدعوة لحضور افتتاح مشغل جديد في جمعية الطفل الشريد ، ولن تعود قبل الثانية بعد الظهر ..

وعندما استيقظت أمه كانوا جميعاً في انتظارها على مائدة الإفطار .. وغادرت أمه المنزل في تمام العاشرة ، فنشطت الفرقة إلى العمل .

قال خالد :

– الآن سأتصل بالرائد ماهر لأشرح له الأمر ..

والتفوا حوله وهو يدير الرقم ثم سمعوه يقول :

– سيادة الرائد ماهر إذا سمحت .. حضرتك ؟ صباح الخير يا عمي .. أنا خالد .. هل تذكرني ؟ نعم أنا .. الحمد لله يا عمي .. هل استطيع مقابلتك حالاً ؟ نعم الأمر خطير جداً .. لا .. ليس بالمنزل .. سأكون بعد نصف ساعة أمام سينما الجمهورية .. طيب إلى اللقاء ..

والتفت إلى عصام وقال :

– سأخرج من الباب الخلفي فربما كان هناك من يراقب المنزل وان

كنت أشك في ذلك .. سأذهب لشرح الخطة للرائد ماهر وأعود سريعاً ، فربما لا يقرها أو يدخل عليها بعض التعديلات ..

وانصرف خالد مسرعاً ليدور دورة كاملة حتى يصل إلى سينما الجمهورية دون المرور بالشوارع التي يحتمل أن يصطدم فيها بأحد رجال العصابة ..

ووصل في الوقت المحدد فاستقبله الرائد مصافحاً وسأله باهتمام :

– ماذا هناك يا خالد ؟

أجابه :

– سنقوم بجولة صغيرة ، وسأخبرك بكل شيء ونحن في السيارة .

وافق الرائد على الفكرة . وما كادت السيارة تتحرك بهما حتى شرع يقص عليه كل ما حدث وكل ما فعل وكل ما وصل إليه ..

قال له الرائد :

– عليك الآن أن تشرح لي خطتك حتى لا تتعرض لأي خطر من أي نوع .

قال له باسماً :

– سأذهب إلى موعدك ومعي الحقيبة . ولا بد أنهم سيحاولون الحصول عليها قبل وصولي .. ولن أقاوم .. فسوف أسلمهم اياها .. وفي هذه الحالة سوف يسرعون بها إلى منزل زعيمهم .

سأله الرائد :

– ثم ماذا ؟ وبعد أن تصل الحقيبة إلى الزعيم ؟

ضحك خالد وقال :

– أرجوك دعني أشرح لك خطتي حتى النهاية ، فإذا رأيتها تحتاج إلى تعديل فالأمر إليك .

ضحك الرائد وقال :

– استمر إذن ، وحدد لي المطلوب من الشرطة .

قال في هدوء وثقة :

– إنني أحتاج إلى سيارة غير حكومية تتبع التاكسي الذي سأستقله . ومتى نجحت العصابة في اختطاف الحقيبة فعليها أن تقتفي أثرها دون أن تخشى افتضاح أمرها لأنهم هم الذين حددوا مكان وزمان اختطاف الحقيبة ، وهكذا لن يشكوا لحظة في أن أحداً يقتفي أثرهم ..

قال الرائد ماهر :

– تخطيط ذكي وتحليل سليم .. ثم بعد ذلك ؟

أجابه خالد :

– والمطلوب ممن في السيارة أن ينتظروا حتى يخرج الرجلان مرة أخرى من بيت الزعيم ، وعندئذ يهاجمون البيت للقبض على الزعيم .

قال الرائد :

– ها هي ذي نقطة ضعف في خطتك يا خالد .. كيف تضمن أن الرجلين سيغادران منزل رئيسهما حتى تبني على ذلك خطتك ؟

أغرق خالد في الضحك وقال :

– سأذكر لك السبب . وأنا ما قصدت من هذا إلا أمراً واحداً هو القبض على كل أفراد العصابة لا على زعيمها ورجلين منها فقط .

قال الرائد :

– ولكنك ذكرت أنهما رجلان فقط ؟

سارع خالد إلى القول :

– نعم . عندما يغادران منزل الزعيم سيكونان اثنين ، ولكنهما لن يحضرا لزيارتي إلا ومعهما باقي أفراد العصابة .

هز الرائد رأسه في شك وعاد يسأله :

– ولكن ما الذي يضمن لك ذلك ؟

أدنى خالد فمه من أذن الرائد وهمس له ببضع كلمات ثم انطلق يضحك والرائد يشاركه ضحكه ويشد على يده بقوة إلى أن قال :

– حقاً إنك داهية .. اني أُهنئك سلفاً ، فالخطة محكمة جداً .

وعاد الرائد بالسيارة متجهاً نحو منزل خالد ، فأنزله قبيل المنزل في شارع جانبي ليكمل خالد طريقه إلى الباب الخلفي حتى لا يراه أحد .

واستقبلته الفرقة بلهفة لمعرفة ما تم فشرع يقص عليهم ما دار بينه وبين الرائد ماهر .

واختتم حديثه قائلاً :

– والآن علينا إعداد المسرح للفصل الأخير . هيا لندرس الموقف ، وليعلم كل منكم مكانه .

وكما يفعل المخرج المسرحي تماماً أخذ خالد يوزع عليهم الأدوار ، ويحدد الأماكن بدقة . ولما اطمأن إلى ذلك جلس لتلقين فصيح وسرور وفينو المطلوب منهم في المشهد الأخير .

وانتهى منهم ليجيب على سؤال عصام الذي وافق على كل الخطة إلا الجزء الذي سيتعرض فيه خالد للخطر .. فقال :

– ليس هناك أدنى خطر .. فكر قليلاً وستجد أني على حق .

سأله وليد :

– أي حق هذا ؟ أتلقي بنفسك في أيدي العصابة طائعاً ثم تقول ألاّ خطر يهددك ؟

تأثر خالد لوفاء صديقيه وقال :

– لقد اعتدنا مناقشة الأمور فيما بيننا دائماً . أليس كذلك ؟ سنناقش هذا الأمر وإذا لم أستطع اقناعكما برأيي فسوف نحاول التغيير ..

وسكت برهة كأنه يستثيرهما ، فلما قرأ الموافقة في أعينهما استأنف يقول :

– الآن تعلم العصابة انني سأغادر المنزل قرابة الواحدة في تكسي .. أليس كذلك ؟ إذن فالأمر سهل ميسور للحصول على الحقيبة دون أن يتعرضوا لأي خطر ..

قال عصام يسأله :

– كيف ؟ وما علاقة موعد خروجك بالخطر الذي ينتظرك على أيديهم عندما يضطرون لمهاجمتك لأخذ الحقيبة ؟

أجاب خالد :

– هذا ما أحاول أن أشرحه لكما .. لو أنكما في مكان رجال العصابة ماذا تفعلان في هذه الحالة ؟

أجابه عصام :

– نهاجم التكسي في مكان مناسب وبطريقة من الطرق ونستولي على الحقيبة ونلوذ بالفرار في سيارتنا .

قال خالد :

– طيب جداً .. ولكن إذا كانت السيارة ملكاً للعصابة . أفلا يكون الأمر أسهل ؟

وأدركا ما يرمي إليه فقال وليد :

– أتعني أنهم سيعرضون عليك سيارة تركبها دون أن تشك فيها ثم يستولون على الحقيبة خلال الطريق ؟

قال بكل ثقة :

– تماماً . هذا ما سيحدث مع شيء بسيط من الاختلاف ..

سأله عصام :

– ما هو ؟

أجاب خالد :

– ستسرق العصابة سيارة تكسي لهذه الغاية ..

دهشا لهذه المفاجأة الجديدة ولكنه أسرع يكمل لهما :

– من المؤكد أن العصابة لا تملك سيارة تكسي . وإذا افترضنا أنها تملكها فمن الخطر استعمالها في أمر كهذا لأن اللوحة التي تحملها قد تقود الشرطة إليهم .. أضف إلى ذلك انه من الخطورة مهاجمتي وأنا في تكسي عادي ، وإلا تعرض هجومهم للإخفاق إذ كيف يهاجمون سيارة في رابعة

النهار دون أن يلفتوا إليهم الأنظار ؟ اذن فالحل الوحيد لهذه الإشكالات هو سرقة سيارة تكسي وتعرضهم لي بها . وفي أي طريق جانبي سيوقف السائق السيارة بحجة عطل أصابها ، وعندئذ تهاجمني العصابة التي تتبع التكسي في سيارتها وتختطف الحقيبة ، ثم يهربون جميعاً في أمان وهدوء بينما أظل أنا في التكسي ولكن دون أي خطر لأنه لا فائدة لهم من إيذائي .

وسكت خالد وهو ينظر إليهما ثم قال :

– لعلكما اقتنعتما بفكرتي ؟

ولم يقتنع الصديقان فقط ، بل قاما إليه وراحا يمطرانه بوابل من القبلات . قال ضاحكاً :

– لم يبق إذن سوى ليلى لم تعرف حتى الآن دورها . ولكني واثق أنها ستجيد القيام به وان أخبرت به في وقت متأخر ..

قال عصام :

– هل تريد أن أذهب وآتي بها من عند خالتها ؟

أجاب خالد :

– لا داعي للعجلة .. يمكنك أن تفعل ذلك بعد انصرافي في الواحدة بعد الظهر .

* * *

خرج خالد إلى الطريق ، وتوقف لحظات أمام الباب وهو يتلفت يمنة ويسرة باحثاً عن تكسي . ولم تمض ثوان حتى ظهرت سيارة واتجهت نحوه . أشار إلى السائق ليقف ، وفتح الباب الأمامي وجلس إلى جوار السائق

والحقيبة الحمراء في حجره ، وقال للسائق :

– مديرية الأمن ، من فضلك .

قال السائق :

– أي طريق تختار ؟

أدرك خالد خطة العصابة فقال :

– لا فرق عندي .. خذ أي طريق يكون أسهل عليك وأسرع لي ..

قال السائق متظاهراً هو الآخر بعدم الاهتمام :

– وأنا لا فرق عندي أيضاً ، ولكن إذا كنت تريد السرعة فإن الطريق حول البلدة هو الأسرع لقلة ما فيه من التقاطعات مما لا يحيج إلى الوقوف عدة مرات انتظاراً للأنوار الخضراء .

تظاهر خالد بالاقتناع وان كان يعلم بينه وبين نفسه أن هذا الرجل الذي لا شك في أنه أحد رجال العصابة قد اختار هذا الطريق لخلوه نسبياً من السيارات ومن حركة الازدحام الموجودة في الطرق الأخرى ليسهل على العصابة تنفيذ خطتها .

وانطلقت السيارة تقطع الطريق الطويل وخالد يبادل السائق الحديث بكل هدوء ولما قطعا منطقة معمل الاسمنت كانت السيارة قد دخلت أشد مراحل الطريق خلواً وإقفاراً . وتوقع خالد أن تبدأ العصابة عمليتها هنا . وبالفعل فإن السائق ما كاد يطمئن إلى خلو الطريق حتى توقف فجأة مدعياً بوجود عطل في السيارة .

ونزل من مقعده ومضى نحو غطاء المحرك فرفعه وانحنى على المحرك

وهو يقول لخالد :

– أرجوك اضغط على المارش ..

لبى خالد طلب السائق فضغط على المارش ، ولكن المحرك ظل ساكناً .

وانتهز خالد هذه الفرصة فنظر في المرآة العاكسة فرأى خلف سيارة التكسي سيارة سوداء تتوقف ويهبط منها رجل ضخم الجثة ويتجه نحوه . وأيقن خالد أن اللحظة الحاسمة قد أزفت .

قال الرجل سائلاً :

– هل تحتاج إلى مساعدة ؟

أجابه السائق وهو يغلق الغطاء :

– شكراً .. يظهر أن البطارية ضعيفة .. ولا احتاج إلى أكثر من دفعة بسيطة .

والتفت إلى خالد وقال له :

– هل تعرف القيادة ؟

أجاب خالد :

– نعم .. جيداً ..

تظاهر الرجل بالفرح وقال :

– حسناً .. سندفعك حتى يدور المحرك .. أتدري كيف تفعل ؟

أجاب خالد :

– طبعاً .. لا تهتم .. لقد مرت بي حالات كثيرة من هذا النوع ..

هتف السائق قائلاً :

– عظيم جداً .. أجلس الآن إلى عجلة القيادة واستعد ..

وأدرك خالد الخطة ولم يسعه إلا أن يعترف بينه وبين نفسه بذكاء واضعها ، إذ من غير المعقول أن تظل الحقيبة في حجره وهو وراء عجلة القيادة .. لا بد أن يتخلى عنها أثناء قيادته للسيارة ..

ومضى خالد يمثل الدور الذي رسموه له طائعاً مختاراً ، فوضع الحقيبة إلى جواره ، ثم جر نفسه حتى صار خلف عجلة القيادة وأمسك بها بكلتا يديه بينما بدأ الرجلان بدفع السيارة .

وفجأة تحركت السيارة السوداء حتى وازت سيارة التكسي ، وعندئذ تخلى الرجل الضخم عن دفع السيارة ، وأسرع إلى مقدمتها ، فمد يده من النافذة فاختطف الحقيبة التي كانت على المقعد ، وهرب بها ومعه السائق إلى السيارة السوداء فصعد إليها لتنطلق بهما في سرعة البرق .

ولم تكد سيارة المجرمين تبتعد حتى أطلق خالد ضحكة رنانة طويلة . وقبع في مكانه ينتظر لحاق الرائد ماهر به ليلتقطه .

وفي السيارة السوداء تحسس الرجل الضخم الحقيبة الحمراء فقال له بائع النايات :

– افتحها لنحصي ما فيها .

نهره الرجل قائلاً :

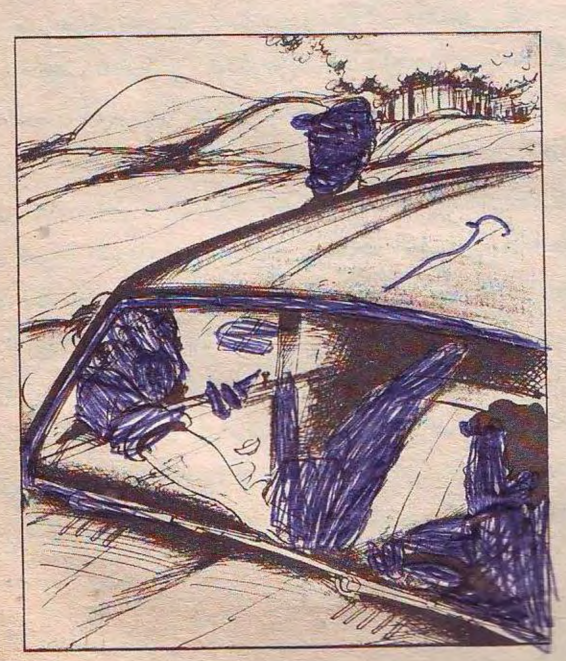
– كم أنت ذكي ! ! أتريدنا أن نحصي آلاف الدولارات ونحن نسير في هذه الشوارع المزدحمة ؟ !

وسارت السيارة مسرعة بقدر ما سمحت به حركة المرور حتى وصلت إلى

شارع البستان أكبر شوارع المدينة ، فتوقفت أمام إحدى أضخم بناياته .

ترجل الرجال من السيارة ، ودخلوا المبنى الفخم واتجهوا نحو المصعد ، ودخلوه . وما كاد الباب يغلق خلفهم حتى كان شاب من الشرطة السرية قد لحق بهم ووقف يراقب لوحة المصعد وهي تسجل أرقام الطوابق التي يصل المصعد إليها .. وبعد قليل أضاء الرقم (٨) على اللوحة وتوقف عند ذلك .

أسرع الشاب إلى السيارة التي أتت به فصعد إليها وقبع مع رفاقه الآخرين ينتظرون الوقت المناسب للهجوم .



وسرق الحقيبة ..

الخدعة

فتح الزعيم باب الشقة وهو يقول في غضب :

– أفي مثل هذا الوقت تقلقون راحتي أيها الأغبياء ؟

أجابه الرجل الضخم :

– لقد حصلنا على الحقيبة .. ها هي ..

لانت أسارير الزعيم الذي كان لا يزال يفرك عينيه من أثر النوم . وقال بفرح :

– حقاً إنكم أبطال . !

وجلس على أقرب مقعد ، وأخذ الحقيبة وفتحها . وما كاد بصره يقع على ما بها حتى صرخ في غضب :

– ما هذا ؟ أوراق جرائد ؟ أين الدولارات أيها اللصوص ؟

صعق الرجال الثلاثة وأدركوا أن الصبي قد مكر بهم واحتفظ بالدولارات لنفسه .

قال الزعيم بصوت رهيب :

– اغربوا عن وجهي .. ولا تعودوا إلا والدولارات معكم .. وإلا فلا تلومُنّ إلا أنفسكم .

قال الرجل الضخم وهو يتميز غيظاً :

– سأعود بها .. أقسم لك لأعودنّ بها اليوم وليس غداً ..

قال الزعيم :

– أليس عندك شيء تفعله سوى القسم . ؟ ماذا ستفعل هذه المرة ؟

أجابه الرجل :

– سنصحب باقي الرجال معنا ونهاجم المنزل ونأتي بالحقيبة .

صرخ الزعيم في جنون :

– تهاجمون منزل المفتش جميل ؟ لا شك أنك مجنون ..

أجابه الرجل :

– إن المنزل خالٍ حتى من زوجته . والمفتش في مهمة لن يعود منها قبل أسبوع .

قال الزعيم بعد أن فكر برهة :

– إذن كونوا على حذر . واتصلوا بي هاتفياً بعد انتهاء العملية .

أشاروا برؤوسهم موافقين ثم نزلوا مهرولين ليستقلوا السيارة وهم يتوعدون ويهددون .

* * *

لم يمض إلا قليل على بقاء خالد في السيارة وحده حتى وصلت سيارة الرائد ماهر فأخذته .

قال الرائد بعد أن جلس خالد إلى جواره :

– يبدو ان الجزء الأول تم بنجاح . ؟

قال خالد وهو يبتسم :

– تماماً .. وكأنما كنا نفكر معاً أو كنا نفكر بعقولهم .. لقد سرقوا التكسي واختطفوا الحقيبة بالطريقة التي قدرناها لهم .

ووصلا إلى منزل خالد فرأيا سيارات الشرطة التي كانت تحمل لوحات مدنية قد أحاطت بالمنزل من جميع جهاته وهي مفعمة برجال الشرطة السرية .

ولما اطمأن الرائد ماهر إلى أن كل رجل في مكانه الصحيح أومأ إلى خالد بالدخول بينما اتجه هو إلى إحدى السيارات فصعد إليها وراح ينتظر .

دخل خالد فاستقبله أعضاء الفرقة فرحين بعودته سليماً . وكان أول المهنئين فينو الذي أسرع إليه يلعق يديه في حب ..

قال خالد لعصام :

– لا شك أنهم في طريقهم إلينا الآن .. سأصعد إلى الطابق العلوي . وعلى كل منكم التزام مكانه .. أما أنت يا ليلى فاصعدي معي ..

وجلس وليد في الصالة وفتح مجلة وراح يطالع فيها .

وأما عصام فقد أخذ مكانه في الطابق العلوي حيث اختفى سرور أيضاً في انتظار الإشارة لبدء العمل .

وأما فصيح فكان هو الآخر في مكانه المعد له يراجع الكلمات المطلوب منه أن يقولها مخافة أن ينساها .

ولم يطل انتظارهم فقد سمعوا صوت انصفاق باب سيارة تقف أمام المنزل ، ثم صوت جرس الباب يرن بشكل متواصل .

نهض وليد وفتح الباب فإذا بثلاثة من أفراد العصابة يقتحمون الدار بعد

أن تركوا السائق في السيارة وواحداً منهم يحرس المدخل ..

أمسك الرجل الضخم بوليد من عنقه وضغط عليها بقوة وقال مهدداً :

– أين رفيقك . ؟ خذني إليه وإلا سحقت عنقك سحقاً .

قال وليد وهو يتظاهر بالخوف :

– إنه في الطابق العلوي .. أرجوك اترك رقبتي ..

قال الرجل وهو يدفعه أمامه :

– اصعد أمامي ..

وقال لأحد رجاله :

– ابق هنا ودق عنق أي ماكر يحاول العبث بنا ..

وصعد بائع النايات مع الرجل الضخم وأمامهما وليد وما زالت قبضة الرجل مطبقة على عنقه .

ولما صعدوا إلى الطابق العلوي وجدوا عصاماً جالساً . فما كاد يراهم حتى هب مذعوراً يحاول الفرار .. ولكن بائع النايات لحق به وأمسكه ..

قال الضخم مهدداً :

– أين الدولارات . ؟ أجب بسرعة وإلا ..

قال عصام وهو يرتجف :

– لا أعرف .. إسأل خالداً ..

قال الرجل :

– أين هو خالد هذا ؟

أشار إلى باب حجرته فقال الرجل الضخم :

– أمسك بهذا الوغد ولا تفلته من يدك .

وفتح الباب دفعة واحدة . ثم دخل كالعاصفة فألقى بكلتا يديه على عنق خالد الذي اتقن دور الخائف الذي فوجئ بما لم يتوقع . أما ليلى فقد ظلت في مقعدها تطالع في إحدى المجلات في هدوء وعدم اكتراث وكأن شيئاً لم يحدث .

قال الضخم وعنق خالد في يديه :

– أين الدولارات أيها اللص الصغير ؟ إليّ بها قبل أن أحطم عظامك ..

قال خالد موجهاً حديثه إلى ليلى وكأن الرجل لا يعنيه في شيء :

– أي دولارات هذه يا ليلى ؟ هل سمعت عن هذه الدولارات شيئاً ؟

كاد الرجل يتميز من الغيظ وهو يقول :

– احترس أيها الوغد .. إلي بها قبل أن ينفد صبري ..

عاد خالد يخاطب ليلى :

– الدولارات ؟ ها .. إنه يعني الدولارات التي سرقها مني اللصوص الثلاثة.

صرخ الرجل غضباً وقال :

– أتعلم من هم الذين سرقوك ؟

أجابه بهدوء مثير :

– ومن أين لي أن أعرف اللصوص .. كل ما أذكره أن أحدهم كان يشبهك شكلاً وحجماً وغباء ..

كاد الرجل ينشقّ من الغيظ ، وضغط على عنق خالد مهدداً وقال :

– أسرع قبل أن أفقد صبري .. أين الدولارات . ؟

أجابه خالد محدثاً ليلى :

– إنه يسأل عنها ويهددني .. ما رأيك في كل هذا . ؟

أجابته ليلى بهدوء والمجلة لا تزال في يديها :

– رأيي .. إذا لم يرفع يده القذرة عن عنقك فوراً فلا تسمح له برؤيتها .

نظر إليها اللص الضخم وهو لا يكاد يصدق أذنيه . من أي معدن خلق هؤلاء الأولاد ؟ حتى هذه الفتاة الصغيرة لا تخشاه .. بل لا تكاد تحس بوجوده .

قال اللص :

– إني أنصحكما ألا تثيرا غضبي .. ها أنا ذا أطلق عنقك .. والآن إلي بالدولارات .. وسأنصرف وأدعك ورفاقك في سلام .

قالت ليلى تسخر :

– إنه يتحدث عن السلام .. هل يعرف أمثاله من اللصوص معنى السلام . ؟

كاد اللص يجن لسلاطة لسان الفتاة وسخريتها وقال :

– أيتها الفتاة .. أنصحك أن تلزمي الصمت . وإلا ..

قاطعه خالد قائلاً :

– لا شأن لك بها . ولا تحاول إخافتها فإنها لا تخاف .. أجبني .. إذا أعطيتك الدولارات فكم ستعطيني منها ؟

انطلق الرجل يقهقه ضاحكاً وقال :

– أيها القرد الصغير .. أتساومني ؟

ضحك خالد وقال لليلى :

– يصفني بأنني قرد صغير .. بماذا أصفه أنا إذن ؟ غوريلا غبية ؟ أم دب أحمق .. أم .. ؟

قاطعه الرجل بغيظ :

– هل تساومني أيها الجرذ ؟

أجابه ببرود :

– سيعود إلى قلة الأدب مرة أخرى .. ومع ذلك فاعلم أنني لا أساوم ، بل أنا أطلب حقي فقط .. إنني عثرت على الحقيبة ، ولي عشر ما فيها رسمياً ..

ولم يجد الرجل مناصاً من أخذه باللين فقال :

– إذن أعطيك العشر .. هيا .. خذ العشر وهات الباقي ..

قال خالد :

– وما هي حصة أصدقائي ؟

قال الرجل وقد عاد إليه غضبه :

– أصدقاؤك ؟ ادفع لهم أنت من العشر الذي يخصك .

أجابه خالد :

– لا .. إن حصتي لي وحدي . وعليك إذا شئت أن تدفع لأصدقائي ..

تنهد الرجل بغيظ وقال :

– وكم تريد لأصدقائك الملاعين ؟

أجابه خالد :

– سيأخذ كل منهم مثل حصتي ..

صرخ الرجل بوحشية :

– ماذا تقول ؟ لا شك انك مجنون أيها الصبي .

هز خالد كتفيه استخفافاً وقال :

– أنت وشأنك .. افعل ما يحلو لك .. والمنزل أمامك فتشه . وإذا عثرت على الدولارات فخذها كلها .

استسلم الرجل أمام عناده فقال :

– قبلت .. إلي بالباقي ؟

قال خالد :

– إن المبلغ بالضبط ٢٥٠ ألف دولار .. أليس كذلك ؟

أجابه بصبر نافد :

– نعم .

ذهب خالد إلى الكومودينا ، وأخرج من درجها ورقة وقلماً وقال لليلى :

– اطرحي هذه المجلة جانباً واحسبي لنا هذه المسألة .. كم يكون العشر ؟

وأخذ يحسب ويكتب فقال الرجل :

– عشرها ٢٥ ألف دولار أيها الغبي .

قال خالد :

– هل رأيت يا ليلى ؟ انه سريع الحساب ، ولهذا لا ينبغي وصفه بالغوريلا الغبية .. دعينا نفكر له في اسم آخر ..

صرخ الرجل في غضب :

– كف عن وقاحتك واختم هذه المهزلة وإلا ..

قال خالد محذراً :

– هل نعود إلى التهديد ؟ .. والآن قل لي كم ستعطي أصدقائي ؟ .. ها .. تذكرت .. إنهم سينالون حصصاً تعدل حصتي ..

ضرب الرجل الأرض بقدمه غيظاً وقال :

– هل جننت أيها الفتى ؟ ولماذا لا تعطيهم من حصتك ؟

قال خالد :

– أرأيت يا ليلى ؟ ها هو ذا يعود إلى الجشع . طيب .. سنأخذ الدولارات كلها وافعل أنت ما تشاء ..

قال اللص مستسلماً :

– كم شيطاناً أصدقاؤك هؤلاء ؟ هل هناك غير هذين الوغدين وهذه الشيطانة الصغيرة ؟

أجابه خالد :

– ما هذا ؟ كن شريفاً في معاملتك يا رجل .. نحن ستة ..

صرخ الرجل بجنون :

– ماذا تقول ؟ ستة ؟ يا إلهي . ! أكاد أفقد عقلي . ! أين هم هؤلاء الستة الملاعين ؟

أشار خالد إلى وليد وليلى :

– هذا واحد منهم .. وهذه الثانية ..

قاطعه الرجل قائلاً :

– أعلم هذا .. والوغد الثالث في الخارج .. أين الثلاثة الآخرون ؟

أجابه خالد :

– أفضل ألاّ تعرفهم كي لا تندم على ذلك ..

نهره الرجل مزمجراً :

– لا تُفضّل لي شيئاً .. إليّ بهم وإلا فلن أدفع ..

قال خالد محذراً :

– إنني أنصحك للمرة الأخيرة .. دع أصدقائي في أمكنتهم وإلا ندمت على ذلك ..

قال الرجل وهو يزمجر كالثور الهائج :

– أنا الذي ينصحك هذه المرة .. إذا لم تكف عن هذا العبث فسأدق عنقك وأعناق أصدقائك قبل أن أحطم هذا المنزل وآخذ الدولارات كلها ..

سأله خالد ببرود :

– أهذا قرارك الأخير ؟

أجابه الرجل :

– نعم .. أحضرهم أمامي لأدفع لهم ..

قال خالد :

– طيب .. سأدعوهم لك .

وأطلق خالد صفيراً خافتاً ليبدأ السيرك فجأة .. وتتالت الأحداث بسرعة لتشمل الدار عاليها وسافلها في وقت واحد ، فقد تعالت صرخة من الصالة الخارجية وصوت بائع النايات وهو يستغيث ويصرخ ، فقد تعلق سرور بعنقه من الخلف وشرع يقضم أذنه بقسوة وتشفٍّ بينما استدار عصام وكال

له لكمة أودعها كل قواه .. وفي سرعة وقبل أن تعود إليه نفسه كان مقيد الحركة بذلك الحبل المتين الذي أعده له خالد منذ البارحة .

أما داخل الحجرة فقد كان المشهد مختلفاً فقد انطرح الرجل الضخم على وجهه إثر هجمة فينو الذي خرج من تحت الفراش ودفع الرجل ثم جثم فوقه .. وقبل أن يستعيد وعيه كانت ملاءة السرير تلفه من كل جانب والحبل المتين يوثق يديه ورجليه ، وفينو يربض على ظهره لا يسمح له بالحركة .

وأسرعوا جميعهم إلى الطابق الأرضي لمعاونة وليد الذي تولى أمر الرجل الثالث ، ولكنهم ما كادوا يشرفون على الصالة من أعلى الدرج حتى جمدوا مكانهم ذاهلين عندما شاهدوا شيئاً لم يكونوا ينتظرونه .. كان وليد يجثم على صدر الشاب الملقى على الأرض وقد أخذ رأسه بين يديه وراح يضرب به الأرض في انتظام وتلذذ ..

اسرعوا إليه ورفعوه عن الشاب قبل أن يحطم رأسه .

وعندئذ ارتفع صوت فصيح يردد :

– شرطة .. أسرعوا .. شرطة .. أسرعوا ..

كانت هذه الكلمات هي الإشارة المتفق عليها . وعلى أثرها اندفع رجال الرائد ماهر إلى داخل الدار ، ولكنهم لم يجدوا شيئاً يفعلونه أكثر من رفع الرجال الثلاثة كالطرود المحزومة ليضموهم إلى السائق وحارس المدخل وزعيم العصابة الذي جيء به وهو لا يزال في ثياب النوم ..

ومضى خالد إلى داخل إحدى الحجرات ثم عاد منها وفي يده لفافة

ضخمة ، فدفعها إلى الرائد ماهر وهو يقول :

– هذه هي الدولارات يا عمي ماهر .. ولي رجاء بسيط أرجو أن تسمعه مني ..

ضمه الرائد إلى صدره وقال :

– أي رجاء يا خالد . ؟ كن واثقاً أني سأنفذه على الفور ..

أجابه :

– أرجو كتمان الأمر كله عن بابا ..

ضحك الرائد وقال :

– كان بودي ذلك يا خالد .. ولكن الأمر خرج من يدي ..

وجم خالد وقال يسأله :

– ماذا تعني يا عمي ماهر ؟

أجابه صوت والده الذي ظهر من غرفة المكتب :

– لأنني علمت كل شيء .. بل لقد كنت ضمن القوة التي كانت تحيط بالمنزل .

فغر وليد فمه دهشة وقال :

– كنت أنت يا عمي . ؟

ضحك المفتش وقال :

– نعم كنت أنا الذي سدد تلك اللكمة إلى فك اللص الذي كان يجثم فوقك فانقلب الوضع وصرت غالباً بعد أن كنت مغلوباً .

قفز خالد إلى صدر أبيه وقال :

– آسف يا بابا .. أقسم لك أن كل شيء حدث بغتة .. لم تتح لي فرصة الاتصال بك .

قبله والده وقال :

– لا تأسف على شيء .. لقد أديت واجبك بشجاعة .. وقام عمك ماهر بكل ما كنت سأقوم به أنا على الوجه الأكمل .

ظهر الأسرى الستة وقد اصطفوا صفاً واحداً أمام المفتش جميل الذي راح يستعرضهم باسماً ويخاطب كل واحد باسمه ، ثم قال للزعيم :

– أيها «البغل» الغبي ألا تزال كما كنت ؟

التفت إلى ماهر وقال :

– كان البغل هو أول صيدلي في أول عهدي بالعمل ..

لم يفلت فصيح هذه المناسبة فراح يردد :

– البغل غبي .. البغل غبي ..

ضحكوا جميعاً عندما قفز سرور على عازف الناي مرة أخرى وأهداه بضع لكمات .. لأنه لم ينس كيف قيدوه في الغابة وألقوه على الأرض مغلوباً على أمره ..

همس خالد بضع كلمات في أذن أبيه فضحك طويلاً وقال مداعباً :

– هل أخبرهم أنك ترجوني أن أكتم الأمر عن والدتك ؟

احتج خالد باسماً فقال والده :

– حسناً .. سنذهب الآن ، وسنرسل في طلبكم في الوقت المناسب لنأخذ أقوالكم .

ما كاد المفتش جميل ينصرف بصيده الثمين حتى انطلقوا يهنئ بعضهم بعضاً ، ثم قال خالد :

– هيا اسرعوا .. علينا أن ننظم المنزل ، ونمحو كل أثر قبل عودة ماما .. كي لا تكتشف أن المنزل كان ميداناً لمعركة حامية الوطيس .

وخلال ساعة واحدة كانت الفرقة تجلس إلى المائدة العامرة ليحتفلوا بنصرهم الجديد وقد تصدرت ليلى المائدة وما تزال المجلة في يدها تكمل قراءتها .

تمت



طبع في دار النحاس - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - بيروت

لئن كانت غاية القصة «البوليسية» جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا «البوليسية» هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحضّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .



«المغامرون الاذكياء»

١ - واحة الاشباح
٢ - العصابة الخفية
٣ - بائعة الورد
٤ - خمسة جنيهات ذهبية
٥ - بيت الاسرار
٦ - سجين القلعة
٧ - سر العصافير
٨ - الكنز الاغريقي
٩ - تاجر المجوهرات
١٠ - عش الثعلب
١١ - مغامرة في الصحراء
١٢ - بائع الناي
١٣ - رسول منتصف الليل
١٤ - الهرب المجهول
١٥ - السجين الهارب
١٦ - القصر المهجور
١٧ - الكرة الحمراء
١٨ - مروض الحيات
١٩ - المجوهرات العائمة
٢٠ - منزل من ذهب
٢١ - المنطاد الأسود
٢٢ - الانتقام الرهيب
٢٣ - العناكب الحمراء
٢٤ - الطائرة الفضية
٢٥ - رسالة بجهول
٢٦ - الحقيبة السوداء
٢٧ - السائح المزيف